بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

١٤

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ١٤ ـ جمادى الثانية ١٤٢٩هجرية قمرية

تير ١٣٨٧هجرية شمسية / تموز (يوليو) ٢٠٠٨م

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: 88321616 9821+هاتف: 88321411 9821+

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ١٤

رسائل القرآن ٤

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ١٠

الغزو الفكري وأساليب المواجهة ١٧

من أجل بناء حداثة مستقلة ٣٠

عبدالوهاب المسيري رجل المقاومة الثقافية ٣٤

أسئلة الهوية ٤٣

في الدفاع عن الهوية ٥٢

الإمبريالية النفسية ٦١

الإنسان والتاريخ ٧٢

الرؤية الصهيونية للتاريخ ٨٢

تآكل المقدرة القتالية لـ «العجل الذهبي» ٩١

نهاية إسرائيل ٩٧

موضوعات الساعة ١٠٧

رسائل القرآن

محسن قراءتي *

٤٤- ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾

الرسائل:

- **كان أحبار اليهود يدعون الناس قبل بعثة النبي الخاتم(ص) إلى الإيمان به، حتى إذا ظهر أعرضوا عنه. وهكذا الأمر حين لا تكون النوايا صادقة، تحدث المفارقة بين الدعوة والموقف العملي.**
- **تذكر الروايات ما ينتظره العالم الذي لا يعمل بما يدعو إليه (البحار ٢/٣٧):**
- **هؤلاء كانوا يتلون الكتاب، غير أن حقّ تلاوته هو العمل.**

عن الإمام الصادق(ع): «كونوا دعاة الناس بأعمالكم ولا تكونوا دعاة بألسنتكم» (نور الثقلين ١/٥٧).

وعن الإمام موسى بن جعفر الكاظم(ع): «طوبى للعلماء بالفعل وويل للعلماء بالقول» (البحار ٧٨/٢٩٩).

---

* - داعية إسلامي معروف.

وفي تمثيل العالم بلا عمل:

في القرآن: إنه كالحمار يحمل أسفاراً.

وفي كلام السلف:

● العامل بدون عمل:

جائع راقد على كنز.

عطشان في جوار النهر.

طبيب يشكو من الألم.

مريض يقرأ وصفته دون أن يعمل بها.

منافق لا يطابق فعلُه قولَه.

جسد بدون روح.

● الآمرون بالمعروف يجب أن يبدأوا بأمر أنفسهم: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾.

● النسيان غير معذور إذا كان الإنسان قد وفّر مقدّمات هذا النسيان. والمعذور من النسيان هو ما كان خاليًا من التقصير: ﴿..وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون...﴾.

● تلاوة الكتاب السماوي غير كافية، لابدّ من التعقل أيضًا: ﴿وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾

● نسيان النفس معادل لنسيان العقل: ﴿أفلا تعقلون﴾.

٤٥ - ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

الرسائل:

● هذه الآية، وإن جاءت في سياق مخاطبة اليهود، تحمل رسالة إلى كل البشرية. وفي الأخبار أن أمير المؤمنين علي(ع) إذا أهمّه أمر، وقف إلى الصلاة وتلا هذه الآية.

● عن الرسول(ص): (البحار ٧٧/٧١).

● الصلاة لرسول الله وللسائرين على طريقه هي «قرة عين» (البحار ٢٤٩/١٦). ولكنها كبيرة وثقيلة على من لم يخشع قلبه لذكر الله. الخشوع يرتبط بالقلب والروح، والخضوع بجوارح البدن.

● الصلاة بحضور القلب تذكّر الإنسان بعظمة قدرة الله سبحانه وبصغر مادونه، وتزيد حبَّه في قلب المصلّي، وتقوّي فيه روح التوكّل، وتحرره من الانشداد المادي، وكل هذه الآثار تجعل الإنسان مقاومًا أمام الصعاب.

● الصبر والمقاومة مفتاح جميع العبادات. والملائكة يصلّون على أهل الجنة، لا بسبب صلاتهم وصيامهم وحجّهم وزكاتهم، بل بسبب صبرهم ومقاومتهم: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ إذ بدون الصبر والمقاومة ليس ثمة صلاة ولا جهاد ولا حج ولا زكاة. بل إن

الصبر شرط في الوصول إلى مقام الهداية والقيادة الإلهية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾

● الآية تتحدث عن ثقل عبادة الصلاة على غير الخاشعين، ولكن الانصياع لسائر أحكام الله ثقيل على غير الخاشعين. يؤيد ذلك ما وقع للشاعر النجاشي الذي شرب الخمر في رمضان فحدّه الإمام علي(ع) بمائة جلدة، فالتحق على أثر ذلك بمعاوية. وكان النجاشي من قبيلة كوفية معروفة بولائها للإمام، ولذلك قال له شيخ تلك القبيلة طارق بن عبدالله: لماذا لا تفرّق بين العدوّ والصديق؟ وإننا لا نتحمّل ذلك منك. فتلا الإمام هذه الآية: ﴿وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين﴾ فالتحق طارق أيضًا بمعاوية.

● الصبر والصلاة دعامتان كبيرتان لإسناد الإنسان أمام الصعاب: ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾.

● كلّما استشعرنا العبودية والعجز أمام الله أكثر، يزداد المدد الإلهي لنا، ونحقق الغلبة على المشاكل.

● الاستعانة بالله في قوله سبحانه: ﴿إياك نستعين﴾ لا تتنافى مع الاستعانة بما أمر الله به: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾

● الإحساس بثقل عبادة الصلاة من علامات التكبر على الله: ﴿وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين﴾.

٤٦- ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

الرسائل:

● اللقاء في الآية لا تعني الرؤية بل الحضور. فالبصير يلتقي بغيره وإن لم يره. ويقول صاحب «مجمع البيان»: إن لقاء الله هو لقاء بثوابه وعقابه. ولعل المراد باللقاء هو الحالة الروحية التي يبلغها الخاشعون في الصلاة، لأن الصلاة حضور أمام الله.

● لو كان الظن مقابل العلم لما كان مقبولاً. كما في قوله تعالى: ﴿مالهم به من علم إن يتّبعون إلاّ الظنّ﴾. ولكن لو كان المراد به الاطمئنان فهو مستحسن، ولو لم يرتق إلى درجة اليقين القويّ. وعن المجاهدين الشجعان المخلصين يقول سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾

● الظنّ بوجود يوم القيامة كاف لتقويم سلوك الإنسان: ﴿يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾

● الخاشعون في الصلاة يستشعرون لقاء الله: ﴿الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾.

٤٧- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

الرسائل:

● الآية توقظ في أبناء يعقوب روح ذكر النعم والشكر عليها، وهو طريق إلى معرفة الله والارتباط المستمر به سبحانه. وتذكر تفضيل بني إسرائيل على العالمين، وهو تفضيل يرتبط بأمم زمانهم، إذ إن القرآن يقول عن الأمة الخاتمة: ﴿كنتم خيرَ أُمة أُخرجت للناس﴾، وقد يكون التفضيل إشارة إلى انتصار موسى وقوم بني إسرائيل على فرعون، لا التفضيل الأخلاقي والعقيدي، لأن القرآن الكريم ينحو باللائمة في مواضع عديدة على تصرفاتهم تجاه رسالة نبيهم.

● النعمة والفضيلة بيده سبحانه: ﴿نعمتي.. أنعمت.. فضّلت﴾

● التحرر من سيطرة الطاغوت من أعظم النعم الإلهية: ﴿اذكروا نعمتي... وأني فضلتكم على العالمين﴾.

«أريد من هذا المكان أن أوجّه تحذيري إلى شعبنا والشعب العراقي والشعب الباكستاني وسائر الشعوب المسلمة، وأطلب بإلحاح تطويق الاختلافات الطائفية الشيعية السنية. أرى اليوم أيادٍ تعمل وفق خطة مرسومة لإثارة الخلافات بين المسلمين تحت لواء إثارة النزاعات الطائفية بين السنة والشيعة.

الامام الخامنئي

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

• أمام كلّ محاولات التمزيق التي تمارسها جبهة العدوّ الواسعة في العالم الإسلامي تقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية ممثّلة في قيادة وليّها الفقيه موقف تحذير وإيقاظ واستنهاض وتوعية لمواجهة تلك المحاولات، ولصيانة وحدة الأمة. نعرض في هذا العدد نصوصا من هذه المواقف التحذيرية والاستنهاضية والتوعوية على أمل أن نقف وقفة تحليلية عند هذه النصوص في الأعداد القادمة.

الحذر .. الحذر من مؤامرات التفرقة الطائفية

«من الأهداف الأساسية التي يتابعها الاستكبار وأمريكا اليوم في العالم الإسلامي إثارة الاختلافات، وعلى رأسها الاختلافات بين السنة والشيعة. وترون ما يردده مَنْ ربّاهم الاستعمار بشأن العراق، وما يبثونه من سموم، وما يخالون أنهم ينثرونه من بذور النفاق. منذ سنوات متمادية وقوى الاستعمار وقوى الهيمنة والتوسع الغربية تتابع هذا الهدف. لابدّ من التحلّي بالوعي، على مدار السنة وفي كل الميادين. النزاع السنّي الشيعي ما تهواه أمريكا حقيقة.

«الشعوب الإسلامية يجب أن تكون يقظة، ولا يجوز استصغار العدوّ ومؤامراته وتحركاته. لابدّ أن يكونوا دائمًا على درجة عالية من الوعي واليقظة والحذر.

«اليوم هو يوم الاتحاد وتآلف القلوب على صعيد الشعوب والدول الإسلامية.

«أريد من هذا المكان أن أوجّه تحذيري إلى شعبنا والشعب العراقي والشعب الباكستاني وسائر الشعوب المسلمة، وأطلب بإلحاح تطويق الاختلافات الطائفية الشيعية السنية. أرى اليوم أيادٍ تعمل وفق خطة مرسومة لإثارة الخلافات بين المسلمين تحت لواء إثارة النزاعات الطائفية بين السنة والشيعة.

«المذابح التي ترتكب هنا وهناك والانفجارات التي تحدث في المساجد والحسينيات وصلوات الجماعة والجمعة من المؤكد أن وراءها اليد الخبيثة الصهيونية والاستكبارية. هذه ليست من ممارسات المسلمين.

«معلوماتنا تنبئ أن الأيدي الخبيثة الصهيونية والمنفذة لمآرب أعداء الإسلام لها دَخَل في كل أمثال هذه الحوادث التي نراها هنا وهناك في العالم الإسلامي، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

الاستفزاز يختلف عن العمل العلمي

«من الواضح أننا لا ندعو إلى أن يتحول الشيعة إلى سنّة، أو السنة إلى شيعة، ولا أن تنحلّ المذاهب في مذهب واحد، ولا نطلب أن يكفّ الشيعة أو السنّة عن العمل العلمي بمقدار ما يستطيعون

لتعميق مدرستهم الفكرية، العمل العلمي لا غبار عليه بل هو مفيد جداً.

الاعتراف بتعدّد المذاهب هو الذي يحلّ المشكلة

«بعض دعاة اتحاد المسلمين يرفضون تعدد المذاهب. رفض التعددية المذهبية لا يحلّ مشكلة، بل الاعتراف بتعدد المذاهب هو الذي يحلّ المشكلة. هذه المذاهب الموجودة عليها أن تمارس نشاطها كل في دائرة عملها، وعليها أيضا أن تقيم فيما بينها علاقات طيبة. ليؤلفوا كتبًا علميّة في جوّ علمي لا في جوّ غير علمي، لو أراد أحدٌ أن يقدّم خطابًا يقوم على أساس منطقي فلا يجوز أن يمنعه مانع. أمّا إذا أراد أحدٌ بكلامه أو بعمله أو بأية ممارسة أخرى أن يثير الخلافات فرأينا فيه أنه يخدم العدوّ. ولابد أن يكون السنة وأن يكون الشيعة أيضا على حذر.

احترام الآخر

«من حقّ أي شخص ومن أي مذهب كان أن يحترم عقائده ومقدّساته، لكن هذا الاحترام لا يجوز أن تشوبه إهانة بمقدسات الآخر الذي يختلف معه. نحن نؤمن بإسلام واحد وبكعبة واحدة وبنبي واحد، وبصلاة واحدة، وبحج واحد، وبجهاد واحد، نؤمن بشريعة واحدة ونعمل بها.

«مساحة الاختلاف أقل بكثير من مساحات الاتفاق. أعداء

الإسلام يستهدفون إثارة الاختلافات بين السنّة والشيعة لا في بعض نقاط إيران فحسب ، بل في جميع العالم الإسلامي.

عليّ(ع) نقطة اتحاد لا افتراق

«وأضيف إلى ما سبق هذه المسألة، وهي أن لا تتخذوا من أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب عليه السلام) ذريعة لإيقاع الاختلافات بين السنّة والشيعة والفِرق الإسلامية الأخرى.

«أمير المؤمنين نقطة الوحدة، لا نقطة افتراق. على إخوتنا وإخواننا في جميع أرجاء البلاد أن يثقوا بأن أمير المؤمنين محور الوحدة. كل العالم الإسلامي خاضع أمام شخصية أمير المؤمنين، لا فرق في ذلك بين السنّة والشيعة. كان ثمة فئة ضئيلة باسم النواصب تعادي أمير المؤمنين.

«كانت ثمة فئة تناصب العداء لأمير المؤمنين في عصور الإسلام الأموية والعباسية، لكن الأمة الإسلامية بعامّتها من السنّة والشيعة تجلّ أمير المؤمنين. أئمة المذاهب الفقهية السنيّة لهم نصوص في الثناء على أمير المؤمنين، وللإمام الشافعي أشعار في مدحه، بل له أشعار في مدح أئمة آخرين من أهل البيت. وهذا واضح عندنا نحن الشيعة كل الوضوح.

إثارة الاختلافات الطائفية والاختلافات القومية لها هدف واحد

«ومن المؤسف أن هناك في العالم الإسلامي مَنْ هو على استعداد لارتكاب كل منكر لحساب أمريكا وقوى الهيمنة

الاستكبارية، ومن ذلك إثارة الاختلاف بين السنة والشيعة.

أنا أرى اليوم عناصر في بعض البلدان الجارة تتعمّد في إثارة الاختلاف بين السنّة والشيعة وبين القوميات والمذاهب والتيارات السياسية وفق خطة مرسومة، كي يصطادوا في الماء العكر ويبقوا على مصالحهم غير المشروعة في البلدان الإسلامية. لابدّ أن نكون على حذر منهم.

«أولئك الذين يستفزّون الشيعة ضد أهل السنة والسنّة ضد الشيعة ليسوا محبين للشيعة ولا محبين للسنّة، هؤلاء يعادون أصل الإسلام.

العدو يعمل على الجانب الشيعي والجانب السنّي

«قوله سبحانه: ﴿رحماء بينهم﴾ يعني أن العلاقة بين الإخوة المسلمين علاقة عطف ورحمة.

«العدوّ يعمل على الجانبين، يشيع على جانبٍ التطرفَ والنصبَ، فيصوّر الشيعة أمام أنظار السنّة بأنهم العدوّ الحقيقي، وبعض المتحجّرين الدينيين يصدّقون ذلك مع الأسف. وعلى الجانب الآخر يدفع بالشيعة إلى إهانة المقدسات الدينية لأهل السنّة، وبذلك تُحاك خيوط مؤامرة العدوّ في إثارة مجابهة بين المدرستين.

«قد يسلك العدوّ سُبُلاً أنتم عنها غافلون، فكونوا واعين وتعرّفوا العدوّ في أي لبوس كان: ﴿ولتعرفنّهم في لحنِ القول﴾، يمكن معرفتهم من خطابهم.

الأخوّة المذهبية والقوميّة في إيران

«من مفاخرنا أن أبناء شعبنا المنتمين إلى مذاهب وقوميات أخرى يتجنّبون أي اصطدام أو اختلاف قومي ومذهبي. هذا ما لا يُسعد العدوّ، فالنزاع الشيعي السنّي ذو أهميته للعدوّ، الاختلاف والتفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية يؤدي إلى تبديد معنويات الشعوب ونشاطها وقدرتها وعظمتها وائتلافها الوطني، ويؤدي إلى ما يقوله سبحانه: ﴿وتذهبَ ريحكم﴾.

النبي(ص) رمز للوحدة

«إحدى العوامل التي تستطيع أن تكون محورًا لوحدة المسلمين إيماننا بالوجود المقدس للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم . المسلمون والمثقفون الإسلاميون يتحملون مسؤولية توظيف جهودهم في معرفة شخصية هذا النبي الكريم وتعاليمه ومحبته برؤية شاملة للرسالة الإسلامية.

الوحدة ضرورة حياتية

«قضية اتحاد المسلمين بكل فرقهم الإسلامية سواء الشيعية أو السنية، أو مذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعة ينبغي أخذها بمأخذ الجدّ. على المسلمين أن ينظروا إلى مسألة الوحدة الإسلامية بجدّية تامة. والوحدة الإسلامية ليست بالمعنى الضبابي

القائم فمعناها واضح، وهي ضرورة حياتية، وليست بالهزل ولا هي بشعار، لابدّ أن تتحد المجتمعات الإسلامية مع بعضها وتتحرك بانسجام مع بعضها.

«الوحدة طبعًا تلفّها ملابسات كثيرة، فالاتحاد بين الشعوب الإسلامية تتواءم مع اختلاف المذاهب، وتتواءم مع اختلاف أساليب الحياة وتقاليد الحياة، وتتواءم مع الاختلافات الفقهية، الاتحاد بين المسلمين يعني التحرك الموحّد في المسائل التي ترتبط بالعالم الإسلامي، والتعاضد بينهم ويعني أن لا يبدّدوا طاقاتهم في المواجهات الداخلية بينهم.

بدلا من إرسال الجيوش الإمبريالية لآسيا وأفريقيا لفتح الأسواق، تطلق أدوات الترويض المختلفة مثل البرامج التليفزيونية، والأفلام، والموضة (أو جماليات الصيرورة) لفتح الإنسان ولغزوه وقهره. وبدلا من النظرية العنصرية والتفاوت بين الأجناس التي استخدمتها الإمبريالية العسكرية لفتح الأراضي والقارات، تستند الاستهلاكية (أو الإمبريالية النفسية) إلى نظريتها في الطبيعة البشرية، فهي تنكر عليها أي ثبات، وترى أنها في حالة صيرورة دائمة وتغير دائم، غارقة في النسبية الشاملة

الفقيد الراحل عبد الوهاب المسيري

الغزو الفكري
وأساليب المواجهة

محمد علي التسخيري *

• النفس الإنسانية هي الهدف الأول من عملية التثقيف •الإسلام هو دين مقاومة الفراعنة والطغاة والمستبدين • الفكر الإلحادي يجعل الفرد في العالم الإسلامي عدواً للأمة وعميلاً للأجانب الأعداء • التوعية في الإسلام تسبق كلّ خطوة • عملية الهداية في نظر الإسلام رسالة إلهية ومبدأ ضروري.

إذا شئنا أن نستوعب كل المساحة الثقافية – من خلال المنظور الإنساني الإسلامي – فمن المحتّم القول بأنها تمتد إلى حيث تمتد التركيبة الإنسانية نفسها، وهذا يعني شمولها للجوانب الإنسانية الثلاثة التالية:

١ – الجانب التصوّري والعقائدي: بما يشمل كلّ المفاهيم التي يملكها الإنسان عن الكون والحياة والإنسان، وبالشكل الذي يتناول السنن التاريخية والقوانين الحاكمة كلّها.

* – الامين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

٢ – الجانب الإحساسي العاطفي: بما يشمل الغرائز والميول الأصيلة والمعدّلة تبعاً للتربية الخاصة، وتكوين المصاديق المتعالية، كتحويل حبّ الذات الضيقة إلى حبٍّ للذات المتسعة الخالدة، من خلال الإيمان بالآخرة.

٣ – الجانب السلوكي العملي: وهو بطبيعة الحال يشمل كل موقف يتخذه الإنسان، حتى فيما بينه وبين نفسه، كما أنه متأثر بالجانبين السابقين تمام التأثر، وخصوصاً بالجانب الثاني، حيث فسّر المحللون النفسيون الإرادة الإنسانية بالشوق المؤكّد، بالرغم من أنَّ الشوق المؤكد هو المرحلة الأخيرة التي تسبق تصميم الإنسان على العمل – كما نعتقد – فإن الإنسان يبقى يمتلك الحرية في أحرج الضغوط العاطفية.

الترابط بين المساحات الثلاث

وإذا قبلنا هذه الحقيقة فعلينا أن نؤمن بالكل الثقافي المترابط، وأن نعتبر أي انفصال بين الأجزاء آنفة الذكر عملية مؤقتة، وأي قول بالفصل الدائم بين المساحات مجازفة يكذّبها الوجدان والنصوص الشريفة. كما أن هذا الإيمان والقبول يفتح أمامنا باباً تربوياً وإعلامياً واسعاً، ننفذ من خلاله إلى المقصود أولاً، ونكتشف أيضاً – عبره – التآمر الإعلامي على الوجود الثقافي ثانياً.

وإذا تأمّلنا واقعنا الوجداني رأينا حقيقتين مهمتين:

الأولى: هذا الترابط المحكم بين أبعاد الكل الثقافي الإنساني بما يمكن أن يرجع كل الإنسان إلى المحور الواحد المسيطر وهو النفس الإنسانية، فهي التي تتثقف في الواقع، وإن كانت المسارب أو المظاهر متفاوتة.

الثانية: نتيجة لهذا الترابط وهذه الوحدة الوجدانية فإن أي تنافر بين جزئين منها يعد أمرًا طارئًا على التركيبة الطبيعية الإنسانية سرعان ما تتغلّب عليه لتحقيق الانسجام الكامل. ومن هنا نستطيع أن نفسر الكثير من النصوص القرآنية من قبيل:

❖ قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذّب بالدين❖ فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثمَّ كانَ عاقبةَ الذين أساؤوا السّوأى أن كَذَّبُوا بآيات الله﴾.

وقوله تعالى: ﴿إليهِ يصعَدُ الكَلِمُ الطيب والعملُ الصالحُ يَرْفَعُه﴾.

... وغيرها من النصوص الشريفة.

وفي ضوء هاتين الحقيقتين، علينا أن نعالج ثقافتنا على كل الصُّعُد، ونلاحظ مدى النفوذ الغربي فيها.

العدو يستهدف كل الجوانب

ويبدو أن العدو - في حملته الثقافية - استهدف الجوانب

الثلاثة بشكل عَرَضيّ وفي آن واحد، إدراكًا منه لهذا الترابط، وتحقيقاً لمهمته الرئيسة، وهي قتل الشخصية الإسلامية في وجود الفرد والأُمة، وبالتالي تحقيق الأرضية السهلة لعملية الاستغلال الكبرى.

فعلى الصعيد التصوري: عمل الإعلام الغربي – والأفضل أن نسميه بالإعلام الاستكباري العالمي – نظراً لطبيعته ودوافعه الحقيقية الكامنة في طغيان الحيوانية والمادية في وجوده – على التغريب الثقافي عن العقيدة والتصورات الأصيلة مستغلاً فترات الجهل، والاتجاهات القشرية الخالية من روح الإسلام، والمركزة على جوانب جزئية عابرة، مكبرة إياها، وجاعلة هذه الجوانب هي محور الصراع وتضارب الآراء، عاملة – بالتالي – على نسيان التصورات الإسلامية التغييرية الكبرى، وترك الميدان الاجتماعي لكل المبادئ المدعية للعدالة والإصلاح، وهي في الواقع ضد ذلك.

ومن هنا رأينا اتجاه كثير من جيلنا الشاب نحو المبادئ التي احتلت زوراً موقع البطولة الثورية، والمطالبة بالقضاء على الظلم بعد أن أخْلَت هذه الآراء القشرية ذهنية جيلنا المسلم من المبادئ الإسلامية، والإسلام هو دين الصراع ضد التفرعن والفراعنة والطغاة، وهو دين الجهاد المتواصل ضدّ أي نمط من أنماط الظلم والاستبداد والاستغلال.

ثم إن العدو، وتأكيداً لعملية التغريب الآنفة، راح يزرع الشبهات تلو الشبهات في النفوس تجاه الإسلام عقيدةً ونظامًا،

وتجاه إمكان تطبيق الإسلام، وهو دين المجتمع القبلي – كما يدعون – فكيف يمكن تطبيقه في مجتمع القرن العشرين؟!

ولم تكن الشبهات عادية وإنما هي تشمل الحقول الفلسفية والمنطقية، تمامًا كما تشمل الجوانب العملية. وهذه الشبهات عندما تصب في روح الشباب الفارغ فإنها تعصف برؤيته ومفاهيمه، وإذا تم ذلك ضَمِن الاستكبار انحراف الإحساس فالعمل بلا ريب. وإذا تمهد السبيل للنفوذ الغربي جاء دور بث الفكر الالحادي المسموم لتحقيق المرحلة النهائية من العملية، ليصوغ الإنسان المسلم مبشراً للماركسية بقيمها الواطئة أو الرأسمالية بجشعها ولؤمها، وعلى أي حال؛ يغدو عدوًا للأمة وعميلاً للأجانب الأعداء.

وأما على الصعيد العاطفي: فإن خطته الخبيثة يمكن أن تتلخص بعمليتين:

الأولى: عملية إضعاف الروح الأخوية الإسلامية؛ روح إحساس المسلم أينما كان بألم المسلم الآخر، وإحلال الروح المحلية، والقطرية، والقومية، وحتى الوطنية الضيقة وغيرها.

أَمّا العملية الثانية فهي عملية توجيه العواطف والدوافع نحو المادية السلوكية، الأمر الذي يترك أثره على الجانبين العقائدي والعملي بكل قوة، فتتحول المادية العاطفية إلى مادية عقائدية.

وقد استغل الاستكبار الغربي كل الوسائل لتحقيق هذا الهدف وما زال يستخدمها حتى يومنا هذا في أرضنا الإسلامية، ونذكر

منها: النماذج الخلقية المنحطّة، والمجلات والصحف الخليعة، والإذاعة المسموعة والمرئية، والسينما والمسارح، ومحلات الدعارة وبيوتها، والملاهي والمراقص، والحفلات الماجنة، ومعسكرات الشباب ومنظماته، و(البلاجات) والمسابح المشتركة والرياضة وتعاطي الخمور، والتشجيع على استهلاك وسائل التجميل، والتشجيع على ارتكاب الجريمة، ودفع المجتمع نحو المخدرات واستغلال الإبداعات والأعمال الفنية لهذا الغرض. ومن تلك الفنون المستغَلَّة: أنواع الفنون التشكيلية والموسيقية واستغلال النتاجات الأدبية كالقصة والشعر، وتربية الشعب على تقليد الغرب الخليع في مختلف الشؤون كاللباس والسكن والسلوك، وفسح المجال للجمعيات والعناصر المندسة من: الصهاينة والبهائية والماسونية، ورواد نوادي الروتاري والملحدين، ليساعدوا في إذكاء نار الفساد، وترويج الأفلام الخلاعية عبر أجهزة (الفيديو)، وإشاعة عملية المراسلة غير النزيهة بين الجنسين، وتشجيع عمليات المقامرة في المقاهي العامة الكبيرة منها والصغيرة، وفي المسابقات الرياضية، وسباق الخيل من قبل المتفرجين، وغير ذلك الكثير الكثير من الأساليب الرخيصة. ونؤكد هنا أن الكثير من هذه الوسائل الإعلامية اكتسبت ضعتها من أهدافها الوضيعة لا من طبيعتها كوسائل إعلاميّة مجرّدة.

وبالتالي فعلى الصعيد العملي: كان هدفه المرحلي هو إبعاد

النظام الإسلامي عن توجيه الحياة الإنسانية، وإحلال النظم الغربية المادية محله، بشكل كلي، أو في غالب الأحوال، وهنا أيضًا تنوّعت الأفكار التي مهّد بها لهذه العملية، فشملت:

- فكرة فصل الدين عن السياسة، وقصر الحياة الدينية على الشؤون الشخصية والعبادية، وترك الشؤون الاجتماعية للفكر التنظيمي الغربي.

- وترويج الاتجاه الليبرالي المتحرر من التقيّد بالتوجيهات الدينية.

- وتحبيذ العلمانية في الحكم بكلّ صراحة، أو بشيء دستوري يذكر الإسلام كدين للدولة تمويهاً، في حين يحجر عليه أن يصوغ مجمل الحياة الاجتماعية إلا بما لا يتعارض مع المصالح الغربية وما ينحصر في المسائل الشخصية الضيّقة.

وقد مهّدت لهذه الفكرة أفكار أخرى مخادعة من قبيل: فكرة تعقّد الحياة، ولزوم التطوير في كلّ مجالاتها، وعدم قدرة النظم الدينية على مواكبة هذا التطور، باعتبارها تؤمن بالمطلقات التشريعية، وهذه المطلقات لا تنسجم مع عملية التغيير المستمر، وكذلك فكرة التخويف من الحكومة الدينية، أو ما يسمونه بالاستبداد الديني، مذكّرين بما جرى في القرون الوسطى من الظلم الكنسي، وكيف وقفت الكنيسة إلى جانب الاقطاع المستبد، وأن هذا لا ينسجم مع الدولة الديمقراطية الحديثة، وغير ذلك

من الأفكار التي مهدت – كما قلنا – للعلمانية، فإذا بنا نجد الأرض الإسلامية تضج من وجود الحكم العلماني المغلّف، دون أن يشعر أكثر الأفراد بمدى الجريمة التي ترتكب عبر ذلك.

والأنكى والأمرّ من ذلك، إن بعض الناس من عملاء الغرب ووسائله الإعلامية المحلية العميلة راحت تدعو لإعادة النظر في الإسلام نفسه!!

فهناك من يدّعي أن الإسلام قد استنفد أغراضه التاريخية.

وهناك من يرفع نداءه طارحًا فكرة (البروتستانتية الإسلامية).

وهناك من يطرح النظم الغربية أساساً يجب أن يحوَّر الإسلام نفسه بحيث ينسجم معها، فتجد شيوع تعبيرات: (الديمقراطية الإسلامية، والاشتراكية الإسلامية.. الخ).

ولما لم يجد آذانًا صاغية راح بعض الأفراد يطرح الأفكار التلفيقية التي تأخذ من هذا ضغثًا ومن ذاك ضغثًا وتقدّمه على أساس أنه الإسلام المواكب لمسيرة التطور!!

وهذا القسم الأخير هو أشدّ الأقسام خطورة على جيلنا الإسلامي الناشئ. ونحن في إيران عانينا من كل الأفكار الماضية كثيراً، إلا أن الاتجاه التلفيقي بشكله الغربي أو الشرقي كان يشكل العقبة الكأداء في عملية أسلمة الحياة الاجتماعية أسلمةً كاملة، لكن الثورة الإسلامية تخلصت من كل المنحرفين بعد أن تآمروا على كل المكاسب الإسلامية.

خطوط المواجهة الإعلامية للغزو الثقافي

ونستطيع أن نميّز – في مجال مواجهة الغزو الثقافي الآنف على الصعيد الثقافي والإعلامي – خطوطاً، أهمها خطان:

أولاً: الخط الإعلامي الثوري البنّاء

وقد امتاز هذا الخط بميّزات منها:

أ – وعيه للإسلام وعيًا نافذًا، وإدراكه العميق الأصيل لنظرته الحياتية التغييرية الشاملة.

ب – إدراكه لأبعاد الغزو الثقافي ومساربه ومظاهره.

جـ – تركيزه على محور المشكلة دون إهمال جوانبها وفروعها وتفصيلاتها، وبالتالي دعوته للتغيير الثوري والإصلاحي في آن واحد.

د – تقديمه الطروحات الإسلامية للجيل، وبعث حركة ثقافية جديدة.

هـ – تحريك الحس الإسلامي الحماسي المطلوب وعدم الاكتفاء بالتنظير الفكري الجاف، وهذا النوع هو الذي استطاع أن يقدّم خدمات جلّى على صعيد المواجهة وأن ينقذ الأمة من وهدتها.

ثانياً: الخط الإعلامي السطحي

والذي تميّز بما يلي:

أ – بطرح الإسلام شعارًا برّاقًا، والتذكير بالأمجاد دونما عمل على تقديم الطروحات الحياتية.

ب – بتحبيذ الإصلاحات الجانبية وغضّ النظر عن الكثير منها خوفاً من الانفلات.

جـ – باتباع أسلوب المساومة السياسية مع الحكّام المرتبطين، مهما بلغ بهم الارتباط، والاكتفاء منهم ببعض الظواهر الكاذبة.

ولهذا نجد جماهيرنا المسلمة تمجّ هذا الأسلوب، وترفض التعامل معه كإعلام إسلامي، ممّا أفقده تأثيره لا على صعيد المواجهة فحسب، بل وحتى على صعيد التأثير الجزئي، فلم يعد يحقق حتى ما يتوخى العملاء تحقيقه من تخدير وتغطية، وأمامنا تجارب حديثة جداً، حاول فيها أمثال هؤلاء التمويه وتشويه الإرادة الإسلامية من خلال إعلام واسع الأبعاد وعلى الصعيد العالمي، فكذّبته الجماهير المسلمة وأسقطته من فوق عروشه العاجية.

الإعلام القرآني جوهر النهوض

وإذا أردنا أن ننهض في مجال الإعلام المواجه والمربّي في آن واحد، فليس لنا من سبيل إلاّ سبيل القرآن والدعوة القرآنية، إننا مسلمون قبل كل شيء، لنا تصوراتنا ونماذجنا الخاصة بنا، والمستقاة من خالق الكون العليم بما يصلحه، والقرآن هو نموذجنا الأسمى في شتى المجالات، فهو: «الكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع» وهو: «ناطق لا يعيى لسانه، وبيت لا تُهدم أركانه، وعزّ لا تُهزم أعوانه» وهو: «كتاب الله، تبصرون به وتنطقون به، وتسمعون به» فعلينا أن نعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي، فهو: «البحر الذي لا يدرك قعره».

إنه كتاب التوعية، والتوعية في الإسلام تسبق أية خطوة أخرى، الإسلام دين التوعية والتربية، وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم أن ينفذ المرء إلى عمقه، إنه يعرض جوهرته الثمينة، لأنه يعلم أن قيمته ستنكشف بكل وضوح للجميع، ولذا فهو يرفض أي تقليد من العقيدة ويدعو للبحث والبرهنة: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾. وهو يرفض أية عملية إكراه عقائدي ﴿لا إكراه في الدين﴾، كما يريد من الأمة أن تكون من أولي الأيدي والأبصار، قوية ببصرها وبصيرتها.

وفي مجال التعامل مع الآخرين يأمر الإسلام بالدعوة البيّنة الواضحة قبل كل شيء. يقول القرآن الكريم:

﴿ادعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحكمة والموعظةِ الحسنَةِ وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربَّكَ هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيلِه وهو أعلَمُ بالمهتَدِين﴾.

﴿فلذلِكَ فادعُ واستقِم كما أُمِرت ولا تتّبع أهواءَهُم﴾.

﴿ومن أحسنُ قولاً ممَّن دعَا إلى الله وعَمِل صالِحاً وقال إنّني من المسلمين﴾.

﴿قل هذهِ سَبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتّبعني وسبحانَ اللهِ وما أَنَا من المُشركين﴾.

وفي هذا يقول آية الله السيّد الصدر في كتابه (اقتصادنا).

«والأمر الآخر: أن يبدأ الدعاة الإسلاميون - قبل كلّ شيء - بالاعلان عن رسالتهم الإسلامية، وإيضاح معالمها الرئيسية، معزّزة بالحجج والبراهين، حتى إذا تمت للإسلام حجّته، ولم يبقَ للآخرين مجالٌ للنقاش المنطقي السليم، وظلوا بالرغم من ذلك

مصرين على رفض النور، عند ذلك لا يوجد أمام الدعوة الإسلامية – بصِفَتها دعوة عالمية تتبنى المصالح الحقيقية للإنسانية – إلا أن تشق طريقها بالقوى المادية، بالجهاد المسلّح».

وقد جاء في كتاب «الكافي» للمرحوم الكليني عن الصادق (عليه السلام) قوله: «وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن، فقال: يا علي لا تقاتلنّ أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لئن يهد الله عزّ وجلّ على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي».

إنه أسلوب القرآن قبل كل شيء، الذي علّمه الله سبحانه لموسى وهارون عليه السلام: ﴿اذهبا إلى فرعون إنَّهُ طغى❖ فقولا له قولاً ليناً لَعلَّه يتذكّر أو يخشى﴾.

إنها الدعوة – حتى عند مواجهة الطواغيت – عسى أن يهتدوا إلى الحق.

وها نحن نجد الرسول العظيم يكرر عبارة: «أدعوك بدعاية الإسلام» في رسالته إلى كسرى أنوشيروان، وقيصر إمبراطور الروم، تطبيقاً لهذا التعليم الإسلامي السامي. وهكذا راح الدعاة يبثون الدَّعوة إلى الأقطار. وقد ذكرت أسماء بعض الدعاة الأوائل الذين أُرسلوا لتحقيق واجب الدعوة إلى الله، ومنهم:

– عبد الله بن حذافة السهمي : مبعوث الرسول إلى إيران.

– حاطب بن أبي بلتعة : مبعوث الرسول إلى مصر لدعوة المقوقس.

- دحية الكلبي : مبعوث الرسول إلى روما.

- عمرو بن أمية : مبعوث الرسول إلى اليمامة.

- حرملة بن زيد : مع وفد معه إلى مدينة (أيلة) الواقعة على ساحل البحر الأحمر.

- المهاجر بن أبي أمية : مبعوث الرسول إلى همدان.

- علي بن أبي طالب عليه السلام : مبعوثه الثاني إلى هذه المدينة.

- حذيفة بن اليمان : مبعوث الرسول إلى الهند.

- عبد الله بن عوسجة : مبعوث الرسول إلى قبيلة حارثة بن قريظ.

- جرير بن عبد الله البجلي : مبعوث الرسول إلى قبائل ذي الكلاع الحميري.

... وغيرهم ممن حمل مهمة الدعوة إلى الشعوب.

وإذا أردنا أن نجد التطبيقات السياسية لهذا الأصل في التعامل الدولي، امكننا أن نلحظها في الوفود والبعثات السياسية المرسلة من هنا إلى هناك، وفي أساليب توضيح الحقيقة عبر الوسائل السمعية والبصرية، وفي مذكرات الإيضاح الموجهة، والمذكرات التفسيرية المقدمة إلى المؤتمرات الدولية.

وما تتميز به العلاقات الدولية الإسلامية: إنها تنظر لعملية التوعية والإيضاح - كرسالة إلهية ومبدأ ضروري - يجب الالتزام به لا أن يتم اعتماد هذه السياسة ، باعتبارها مناورة سياسية، تنقلب بعدها الحقائق وتتغير الموازين متى ما تطلب الأمر ذلك.

من أجل بناء
حداثة مستقلة

زكي الميلاد *

• السؤال المطروح هو: لماذا انعدمت النظرة النقدية الإبداعية المستقلة لدى المسلمين اليوم؟ • العلماء المتعمقون في العلم كانوا دائما أكثر جدّية في التعامل مع المعرفة وفي الإبداع العلمي • العلماء كالشهيد الصدر هم الأقدر على إنتاج حداثة مستقلة.

حينما دُعي محمد أركون للمشاركة في برنامج أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية في باريس سنة ١٩٨٩م، للحديث عن الأصول الإسلامية لحقوق الإنسان، المحاضرة التي شعر فيها أركون بشيء من الرهبة كما وصف حاله، وهو يفتتح الحديث في هذه المؤسسة العريقة، وأمام حضور الأقطاب الكبار على حدّ قوله. وما إن انتهى أركون من محاضرته حتى انبرى له المستشرق الفرنسي أرنالديز، وكان المختص الوحيد في الإسلاميات من بين الموجودين، وقال موجهاً كلامه لأركون: سأدافع ولو للحظة عن

* - باحث من المملكة العربية السعودية، رئيس تحرير مجلة "الكلمة".

كل أولئك الفقهاء والعلماء والمفسرين الذين طالما درستهم وعاشرت نصوصهم، سوف أذكّر محمد أركون بأن هؤلاء الفقهاء كانوا نشطين جداً، وأنهم حرّكوا النصوص القرآنية وأنعشوها بتفاسيرهم، إلى درجة أنه يصعب علينا اليوم، حتى باسم العلوم الإنسانية العزيزة جداً عليك يا سيد أركون، أن نجد فيها شيئاً آخر جديداً غير الذي وجدوه.

وحين أراد محمد أركون أن يوجه خطاباً نقدياً للمثقفين العرب والمسلمين، مبرهناً لهم عن مدى التقلص والافتقار الذي أصاب الساحة الثقافية العربية والإسلامية، وكيف أن العلماء في القرون السابقة قدموا أعمالاً في مختلف العلوم، لم يرتق إلى مستواها العلمي ما يقدم في تلك العلوم اليوم، وذلك في المداخلة التي شارك بها في المؤتمر الذي عقدته جامعة نيس الفرنسية سنة ١٩٨٦م، وكان بعنوان (المثقفون والمناضلون السياسيون في العالم الإسلامي)، وحملت مداخلة أركون عنوان (بعض مهام المثقف المسلم) حيث قال فيها: إذا تفحصنا عناوين الكتب التي نشرت في اللغة العربية، وجدنا شبه غياب كامل لأي كتاب في علم الأخلاق من مستوى كتاب مسكويه (تهذيب الأخلاق)، ولاحظنا شبه غياب كامل لأي كتاب في علم اللاهوت أو الكلام من مستوى كتاب (المغني) للقاضي عبد الجبار، أو من مستوى (مقالات

الإسلاميين) للأشعري، ولاحظنا شبه غياب كامل لأي كتاب في فلسفة القانون من مستوى كتاب (الموافقات) للشاطبي، ولاحظنا شبه غياب كامل لكتب في الفلسفة من مستوى كتب الفارابي أو ابن سينا أو ابن رشد، ولاحظنا انعداماً مماثلاً لكتاب في علم الأجناس والجغرافيا من مستوى كتاب البيروني في وصف الهند، ولاحظنا الشيء نفسه فيما يخص النقد التاريخي، فليس هناك أي كتاب يرقى إلى مستوى مقدمة ابن خلدون. وفي مجال التفسير والدراسات القرآنية، أين هي الكتب التي ترتفع إلى مستوى التفسير القرآني النقدي والشمولي الذي أنجزه فخر الدين الرازي؟

وما يريد أركون أن يصل إليه من هذا الكلام، هو أن هذه الأمثلة التي يصفها بالكلاسيكية للفكر العربي الإسلامي، إنما تقدّم مثالاً ناصعاً على النظرة الثقافية التي ينبغي أن يتحلى بها حسب رأيه كل مثقف، من أجل تحليل معنى ممارسات البشر وفكرهم. ومن ثم يتساءل أركون: لماذا انعدمت هذه النظرة النقدية والاستكشافية والمستقلة، أو كادت تنعدم في الظروف الحالية.

وعندما زار الدكتور محمد شوقي الفنجري، أستاذ مادة الاقتصاد بجامعة القاهرة، السيد محمد باقر الصدر في بيته

بمدينة النجف العراقية، بادره أولاً بالسؤال في أي جامعة من جامعات العالم تلقيت دراستك؟ فأجابه السيد الصدر: بأنه لم يدرس في أي جامعة من جامعات العالم، لا في العراق ولا في خارجه، وإنما في مساجد النجف، وهي أمكنة الدراسة في تعليم الحوزة العلمية. فردّ عليه الدكتور الفنجري إن مساجد النجف أفضل من جامعات أوروبا. وحينما عاد الدكتور الفنجري إلى القاهرة، عرض على الدكتور زكي نجيب محمود ترجمة كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء) للسيد الصدر إلى اللغة الإنكليزية، واتصل بروجيه غارودي في فرنسا، وطلب منه الاتصال بالسيد الصدر، وأعطاه كتابين من أبرز مؤلفاته السيد الصدر، وهما كتاب (فلسفتنا) وكتاب (اقتصادنا).

أردت من هذه النماذج والشهادات، أن تكون أكثر بياناً وبلاغة وصدقية من الأفكار، في التعبير عن حقيقة ينبغي الالتفات إليها، والتأمل العميق فيها، وهي أن العلماء المتعمقين في العلم كانوا دائماً أكثر جدية من المثقفين في التعامل مع المعرفة، وفي استنباط المعارف والعلوم، وهم أيضاً وهذا هو المهم الأقدر على إنتاج حداثة مستقلة. الحداثة التي يمكن اعتبارها على أنها حداثة المسلمين، التي تحدد لهم رؤيتهم لأنفسهم، والى العالم، وتحدد لهم طريق المستقبل، وبناء التقدّم في هذا العصر.

عبدالوهاب المسيري
رجل المقاومة الثقافية

انتقل إلى رحمة الله تعالى الدكتور عبدالوهاب المسيري، رجل قاوم كل الهزائم الفكرية التي مُني بها كثير من المثقفين في عالمنا الإسلامي.. وعلى رأس تلك الهزائم الاعتراف بالكيان الصهيوني باعتباره واقعًا لابدّ من الرضوخ إليه وقبوله شئنا أم أبينا.

وهذه الهزيمة لا تنحصر طبعًا في الموقف من الاحتلال الإسرائيلي، بل هي حالة نفسية تهيمن على نظرة فئة من مثقفينا تجاه الهوية والغرب والاحتلال والمستقبل الحضاري لأمتنا.

لا أزال أتذكّر صرخة الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطيء) في مؤتمر بالمغرب قالت فيه بالحرف الواحد: إن مثقفينا يعانون من «الايدز» الفكري. وتقصد بذلك أنهم فقدوا قدرة المقاومة التي اكتسبناها من تراثنا ومن ديننا وتاريخنا النضالي العريق.. وأصبحنا معرضين لفتك الغزو الجرثومي الفكري الذي يرشقنا ليل نهار نفسيًا وفكريًا من وسائل الاعلام وشبكات الاتصال وممارسات العدوّ الذكيّ والصديق الغبيّ.

عبدالوهاب المسيري نموذج يجب أن تسلّط عليه أضواء كل المهتمين بتقوية البنية الدفاعية لأمتنا، لأنه الرجل الذي وعى على خطر الهزيمة النفسية أمام العدوّ الإسرائيلي، وراح بمختلف السبل بناء النفسيّة المقاومة والفكر المقاوم.

كان يتألّم للتراجع المشهود على الساحة العربية والإسلامية تجاه القضايا المصيرية، لكنه لم يشعر يومًا باليأس، بل قاوم وعشق المقاومين والتقى مرارًا ـ كما قال في مقابلة له مع «الجزيرة» بسيّد المقاومة السيد حسن نصر الله، وقال بصراحة: إن السيد نصر الله هو الزعيم الوحيد الذي كنت أتحدّث إليه بكل جرأة عن نهاية إسرائيل.. مما يعني أن الرجل كان يواجه تشكيكًا بل رفضًا ممن التقى بهم من «الزعماء» بشأن حقيقة آمن بها بكل وجوده وهي: حتمية نهاية إسرائيل .

وقال: ألفت كتابًا في نهاية إسرائيل سأهديه إلى السيد حسن نصرالله.

«ثقافة التقريب» ترى في المسيري بأنه الرجل الذي نهض بمهمة كبرى، وهي أنه وجّه صرخة علميّة ثقافيّة بوجه اليأس والتراجع والانبطاح، وهو بذلك يندرج في قائمة الإحيائيين المعاصرين.

والإحياء كما ذكرنا مرارًا هو السبيل الوحيد للقضاء على حالة التمزّق في أمتنا، لأن الجسد الحي مترابط عضويًا.. ومن هذا المنطلق خصصنا أكثر محتويات هذا العدد للراحل المسيري، وفي هذه المقدمة نقف عند بعض مقاطع حياته ومؤلفاته.

حياته

المرحوم الأستاذ الدكتور عبدالوهاب المسيري، مفكر مصري عربي إسلامي وأستاذ غير متفرغ بكلية البنات جامعة عين شمس. وُلد في دمنهور ١٩٣٨ وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي (مرحلة التكوين أو البذور). التحق عام ١٩٥٥ بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية وعُين معيدًا فيها عند تخرجه، وسافر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٣ حيث حصل على درجة الماجستير عام ١٩٦٤ (من جامعة كولومبيا) ثم على درجة الدكتوراه عام ١٩٦٩ من جامعة رتجز Rutgers.

وعند عودته إلى مصر قام بالتدريس في جامعة عين شمس وفي عدة جامعات عربية من أهمها جامعة الملك سعود (١٩٨٣ – ١٩٨٨)، كما عمل أستاذاً زائرًا في أكاديمية ناصر العسكرية، وجامعة ماليزيا الإسلامية، وكان عضوًا بمجلس الخبراء بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام (١٩٧٠ –١٩٧٥)، ومستشارًا ثقافيًا للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة بنيويورك (١٩٧٥–١٩٧٩). كما كان عضوًا في مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بليسبرج، بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومستشار التحرير في عدد من الحوليات التي تصدر في ماليزيا وايران والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا (مرحلة الثمر).

مؤلفاته

دراسات في الشعر (مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٧).

في الأدب والفكر: دراسات في الشعر والنثر (مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٧).

صمويل تايلور كوليردج، قصيدة الملاح القديم في سبعة أقسام، طبعة باللغتين العربية والإنجليزية ترجمة وتعليق د. عبدالوهاب المسيرى ولوحات الفنانة د.رباب نمر (أويكننج، لندن –كاليفورنيا ٢٠٠٧).

رحلتي الفكرية –في البذور والجذور والثمار (دار الشروق، ٢٠٠٦) طبعة جديدة تمامًا من كتاب رحلتي الفكرية مزود بألبوم صور بعنوان رحلتي في صور.

دراسات معرفية في الحداثة الغربية (مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٦.

الصهيونية وخيوط العنكبوت (دار الفكر، دمشق ٢٠٠٦).

الموسوعة الموجزة: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية في مجلدين (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٤، طبعة ثانية ٢٠٠٥).

التجانس اليهودي والشخصية اليهودية (دار الهلال، كتاب الهلال، ٢٠٠٤).

الحداثة وما بعد الحداثة (بالاشتراك مع الدكتور فتحي التريكي) (دار الفكر، سلسلة حوارات لقرن جديد، دمشق ٢٠٠٣).

البروتوكولات واليهودية والصهيونية (دار الشروق، القاهرة يناير ٢٠٠٣- طبعة ثانية إبريل ٢٠٠٣-طبعة ثالثة مايو ٢٠٠٣- طبعة رابعة يناير ٢٠٠٥).

الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ٢٠٠٣).

دفاع عن الإنسان: دراسة نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣).

في الخطاب والمصطلح الصهيوني (دار الحمراء، بيروت ٢٠٠٥).

الإدراك الصهيوني للعرب والحوار المسلح (دار الحمراء، بيروت ٢٠٠٣).

من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية: اثر الانتفاضة على الكيان الإسرائيلي (عدة طبعات: القاهرة –دمشق – برلين – نيويورك).

أغنيات إلى الأشياء الجميلة (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٢).

انهيار إسرائيل من الداخل (دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٢).

الإنسان والحضارة والنماذج المركَّبة: دراسات نظرية وتطبيقية (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ٢٠٠٢).

فلسطينية كانت ولم تزل: الموضوعات الكامنة المتواترة في شعر المقاومة الفلسطيني (نشر خاص: القاهرة ٢٠٠٢).

مقدمة لدراسة الصراع العربي – الإسرائيلي: جذوره ومساره

ومستقبله (دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢).

الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان (دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢).

اللغة والمجاز: بين التوحيد ووحدة الوجود (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٢–طبعة ثانية ٢٠٠٦).

العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (جزآن، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٢–طبعة ثانية ٢٠٠٥).

الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١).

الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١–طبعة ثانية ٢٠٠٣).

العالم من منظور غربي (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ٢٠٠١).

الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى (دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة ٢٠٠١).

رحلتي الفكرية –في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠).

العلمانية تحت المجهر (بالاشتراك مع الدكتور عزيز العظمة (دار الفكر، دمشق ٢٠٠٠).

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد (ثمانية أجزاء، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٩).

فكر حركة الاستنارة وتناقضاته (دار نهضة مصر، سلسلة التنوير الإسلامي، القاهرة ١٩٩٩).

نور والذئب الشهير بالمكار. سندريلا وزينب هانم خاتون. رحلة إلى جزيرة الدويشة. معركة كبيرة صغيرة. سر اختفاء الذنب الشهير بالمحتار. ما هي النهاية؟ (بالاشتراك مع الدكتورة جيهان فاروق) – قصة خيالية جدًا –قصص سريعة جدًا: قصص للأطفال (دار الشروق، القاهرة ١٩٩٩).

إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد. تأليف وتحرير (مجلدان كبيران، نقابة المهندسين، القاهرة ١٩٩٣. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن ١٩٩٦، سبعة أجزاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ١٩٩٨).

اليهود في عقل هؤلاء (دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة ١٩٩٨، دار العين، القاهرة ٢٠٠٨).

اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدّامة والسرية (دار الشروق، القاهرة ١٩٩٨ –مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٠–طبعة رابعة ٢٠٠٥).

من هو اليهودي؟ (دار الشروق، القاهرة ١٩٩٧ –طبعة ثانية ٢٠٠١–طبعة ثالثة ٢٠٠٢).

موسوعة تاريخ الصهيونية (ثلاثة أجزاء، دار الحسام، القاهرة ١٩٩٧).

أسرار العقل الصهيوني (دار الحسام، القاهرة ١٩٩٦).

الأمير والشاعر: قصة للأطفال (دار الفتى العربي، القاهرة ١٩٩٣).

الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية: دراسات في بعض المفاهيم الصهيونية والممارسات الإسرائيلية (مركز الأبحاث العربية، بيروت ١٩٩٠).

هجرة اليهود السوفييت: منهج في الرصد وتحليل المعلومات (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ١٩٩٠).

هجرة اليهود السوفييت: منهج في الرصد وتحليل المعلومات (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ١٩٩٠).

افتتاحيات الهادئ : Pacific Overtures تأليف ستيفن سوندايم وجون ويدمان (ترجمة بالاشتراك) (سلسلة المسرح العالمي، الكويت ١٩٨٨).

الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية: دراسة في الإدراك والكرامة (منظمة التحرير الفلسطينية، تونس ١٩٨٧. طبعة خاصة، القاهرة ١٩٨٨).

الغرب والعالم : The West and the World تأليف كافين رالي (ترجمة بالاشتراك) (جزآن، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٥).

الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة (جزآن، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة،

الكويت ١٩٨١. طبعة ثانية في جزء واحد ١٩٨٨).

أرض الميعاد: دراسة نقدية للصهيونية السياسية (سلسلة كتب مترجمة رقم ٢٤٧، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة ١٩٨٠).

الفردوس الأرضي: دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩)..

مختارات من الشعر الرومانتيكي الإنجليزي: النصوص الأساسية، وبعض الدراسات التاريخية والنقدية (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩).

العنصرية الصهيونية (وزارة الثقافة والفنون، العراق ١٩٧٩).

إسرائيل وجنوب أفريقيا، بالاشتراك (سلسلة كُتب مترجمة رقم ٤٢٧، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، بلا تاريخ).

اليهودية والصهيونية وإسرائيل: دراسة في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٦).

الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٥).

موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٥).

نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت القاهرة ١٩٧٢. بيروت ١٩٧٩).

من فكر الدكتور المسيري بمناسبة رحيله

أسئلة الهوية

• الهوية لا يمكن دراستها في إطار النموذج المادي • العولمة في جوهرها رفض القيم الأخلاقية والمعنوية • أطرحُ فكرة الإنسانية المشتركة بدل الإنسانية الواحدة • الإنسان الذي لا هوية له لا يمكن أن يبدع • في الدولة الإسلامية كانت هويات مختلفة لكنها غير متنازعة • الإسلام قَبلَ التنوع داخل إطار شامل من الوحدة.

كي نفهم قضية الهوية حق الفهم لابد أن ندرك أننا لا نتلقى الواقع في موضوعية سلبية تكتفي بالرصد والتسجيل، فالعقل الإنساني، عقل توليدي يبقى ويضخم ويهمّش ويضيف ويحذف، وتتم عملية الإبقاء والاستبعاد والتضخيم والتهميش والإضافة والحذف حسب نموذج إدراكي يشكل هوية الإنسان، وهو في صميمه رؤية للكون.

فهوية شعب ما تتشكل عبر مئات السنين من خلال تفاعله مع الطبيعة وبيئته الجغرافية ومع بني جلدته ومع الشعوب الأخرى.

ولأن أعضاء هذا الشعب لا يعكسون الواقع كما هو، وإنما يتفاعلون معه (فعقولهم التوليدية تبقى وتستبعد وتضخّم

وتهمّش)، فإن هويتهم تتشكل من خلال إدراكهم لما حولهم، ومن خلال تطلعاتهم ورؤاهم وذكرياتهم، فهي ليست مجرد انعكاس بسيط لبيئتهم. ومن هنا تكتسب الهوية فرادتها وتركيبيتها التي لا يمكن ردها إلى قانون أو نمط مادي.

ولكن عادة ما ينطلق الكثيرون من الرؤية المادية التي يسمونها "علمية"، فيدرسون الهوية في إطار النموذج المادي كما يفعل كثير من الدارسين في الغرب. واستخدام النموذج المادي، يعنى استخدام الحواس الخمس، كما يعني دراسة الظواهر الإنسانية كما تدرس الظواهر الطبيعية. ومثل هذا المنهج يودي بالهوية تمامًا، لأنه لا يتعامل مع الواقع إلا من خلال معايير مادية، وهي معايير عاجزة بطبيعتها عن رصد الهوية في كل تركيبيتها وفرادتها. وقد أدى هذا المنهج إلى تعريف الإنسان باعتباره "الإنسان الطبيعي"، بمعنى أنه إنسان يتسم بسمات عامة "أضيفت" إليها الحضارة، أي أنها ليست أصيلة فيه. وبذلك تتحول الهوية إلى مسألة مضافة آليًا، مجرد زخرفة، وهكذا يصبح المشروع الإنساني هو العودة إلى الإنسان الطبيعي، متجاوزين الزخارف الإضافية.

وهذه الفكرة عبرت عن نفسها في فكر حركة الاستنارة الغربية (التي نصفها بأنها عقلانية مادية) كما تعبر عن نفسها فكر العولمة، فالعولمة هي في جوهرها العودة إلى هذا الإنسان الطبيعي، الذي لا يعرف الحدود أو الهوية أو الخصوصية، وليس عنده أي إدراك أو اكتراث بالقيم الأخلاقية والمعنوية مثل الكرامة

والارتباط بالأرض والوطن والتضحية.

ولذا نجد أن خطاب العولمة يتحدث عن حرية انتقال السلع ورأس المال، والشركات عابرة القارات وحدود الدول، ولايذكر شيئاً عن الثقافات أو الهويات المختلفة.

وحيث أن الإنسان الطبيعي هو ذاته الإنسان الاقتصادي، لذا فكل مطالبه وتطلعاته تظل داخل السقف المادي، وتظل الخلافات التي تنشأ بين الدول هي خلافات اقتصادية عامة، يمكن التفاهم بشأنها وحلها داخل الإطار الاقتصادي المادي.

ونتيجة لهذا الفهم المادي المعاصر نجد أن الإدراك الغربي (والإدراك الذي ساد في العالم العربي) للهوية يتأرجح بين نقطتين ماديتين متناقضتين:

الأولى نقطة صلبة تقوم على ثنائية قطبية حادة (أنا في مقابل الآخر) كما فعل النازيون والصهاينة في الغرب، وبعض السلفيين والقوميين المتعصبين وبعض دعاة القومية العربية، بعض الوقت.

أما الثانية فهي نقطة سائلة تذوب فيها الحدود والهويات، كما هو الحال الآن في إطار النظام العالمي الجديد.

وأقترح أن ننظر إلى الهوية باعتبارها صورة مجازية لا جوهرًا صلباً ثابتًا، وأطرح فكرة الإنسانية المشتركة بدلا من فكرة الإنسانية الواحدة التي يطرحونها في الغرب.

فالإنسانية المشتركة تذهب إلى أن كل البشر داخلهم إمكانيات لا تتحقق إلا داخل الزمان والمكان، وهي في تحقّقها

تكتسب قسمات وهوية محددة! فالإمكانية الإنسانية الكامنة حينما تتحقق في الزمان والمكان الصيني، فإنها تثمر الإنسان الصيني والإنسانية الصينية، وإن تحققت في الزمان والمكان الغربيَين، أثمرت الإنسان الغربي والإنسانية الغربية. وتحقق الإمكانية ليس أمرًا حتميًا، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكن أن يرقى فوق إنسانيته ويمكن أن يهبط دونها.

وثمة علاقة بين الهوية والإبداع، فالإنسان الذي لا هوية له لا يمكنه أن يبدع، لأن الإنسان لا يبدع، إلا إذا نظر للعالم بمنظاره هو وليس بمنظار الآخرين، لأنه لو نظر بمنظار الآخرين، أي لو فقد هويته، وأصبح عقله في أذنيه، فإنه سيكرر ما يقولونه ويصبح تابعًا لهم، كل همه أن يقّلدهم، أو أن يلحق بهم، ويبدع داخل إطارهم، بحيث يتحقق إبداعه من داخل تشكيلهم الحضاري، كما يحدث لكثير من العلماء العرب الذين يهاجرون إلى الغرب. وهذا ما أدركه لورد ماكولي، السياسي والكاتب الإنجليزي.

ففي خطاب له للبرلمان الإنجليزي في ٢ فبراير ١٨٣٥ قال: "لقد سافرت في الهند طولا وعرضًا، ولم أر شخصًا واحدًا يتسول أو يسرق. لقد وجدت هذا البلد ثريًا لدرجة كبيرة، ويتمتع أهلها بقيم أخلاقية عالية، ودرجة عالية من الرقي، حتى أنني أرى أننا لن نهزم هذه الأمة، إلا بكسر عمودها الفقري، وهو تراثها الروحي والثقافي. ولذا أقترح أن يأتي نظام تعليمي جديد ليحل محل النظام القديم، لأنه لو بدأ الهنود يعتقدون أن كل ما هو أجنبي

وإنجليزي جيد وأحسن مما هو محلي، فإنهم سيفقدون احترامهم لأنفسهم وثقافتهم المحلية، وسيصبحون ما نريدهم أن يكونوا، أمة تم الهيمنة عليها تماما."

هذه هي الخطة الشيطانية التي لا يزال الاستعمار الغربي يستخدمها ضدّنا، ولذا علينا أن نحتفظ بهويتنا وندافع عنها ونفعّلها ونعبّر عنها من خلال أعمال إبداعية تخرج من بيئتنا وتعود إليها. فمثلا هل يمكن أن نطور مدنًا لا تسير فيها سيارات خاصة، على أن نطور نظام نقل عام جيد، السيارات فيه تسير بالغاز الطبيعي، ومن ثم نقضي على التلوث بكل سلبياته، الذي يكلفنا الكثير من الناحية الصحية والاقتصادية؟

لماذا لا نطور تكنولوجيا الطاقة الشمسية ومساقط المياه، في منطقة معروف أنها ستواجه شحًا في المياه، حتى أنهم يقولون إن حروب هذا القرن ستكون حروب المياه؟

لماذا لا نركز على تكنولوجيا تحلية المياه ونخلّصها من مشاكلها؟

لماذا لا نطور مفاهيم جديدة في الإدارة، رجل متقدم في السن يحيط به مجموعة من الشباب الأذكياء، ولا يكون المدير هو الآمر الناهي، وإنما يستمع لمستشاريه، بحيث تصل المجموعة إلى شكل من أشكال الإجماع الذي لا يولد التوترات؟

المدير هنا لا يدير وإنما ينسق، والأطراف قوية مثل المركز. هذا

مـا فعلـه اليابـانيون وطـوروا اقتصـادًا علـى مسـتويين، فهنـاك الاقتصاد المتقدم والذي يستفيد بكل منجزات العلم والتكنولوجيا، ولكن هناك مستوى آخر وهو ما يمكن تسميته الاقتصاد الشعبي. فشركة مثل سوني على سبيل المثال تستخدم آخر ما توصلت له التكنولوجيـا، ولكـن هنـاك أعمـال أخـرى يمكـن إنجازهـا يـدويًا، فترسـل بهـا إلى الريـف اليابـاني، فيقـوم الفلاحـون بإعـدادها في منازلهم.

ويدعي البعض أن التمسك بالهوية يؤدي إلى الحروب والمجازر، وهـذه مبالغـة غـير مقبولـة. فهـل الحربـان (العالميتـان)، الأولى والثانية، تمتا باسم الهوية أم باسم المصالح الاستعمارية؟

وماذا عن فيتنام وغزو العراق وأفغانستان والحرب الباردة؟ هل التشكيل الاستعماري الغربي الذى أحرق الأخضر واليابس، والذى أباد الملايين ونهب ثروات الشعوب، هل تم تعبيرًا عن الهوية الغربية أم تعبيرًا عن طمع وجشع الطبقات الحاكمة؟

وتفعيـل الهويـة شـيء أساسـي في عمليـة النهـوض الحضـاري، فهويتنا قد تشكلت – كما أسلفت– عبر تاريخنا حتى أصبحت منـا وأصبحنا منهـا. فعمليـة التنميـة لا يمكـن أن تـتم مـن خـلال برنـامج اقتصـادي وسياسـي عـام، فالبشـر لا يتحركـون في إطـار العام، وإنما يتحركون في إطار الخاص الذى يعرف احتياجاتهم ويأخذ في الاعتبار توجهاتهم وأشواقهم وأحزانهم.

وأعتقد أن ظهور ما يسمى النظام العالمي الجديد والنزعة الاستهلاكية الشرسة يزيد من أهمية قضية الهوية وضرورة التمسك بها. إن ظهور الهوية في القرن العشرين مسألة لها دلالة، فهي حماية للإنسان ضد عمليات التنميط الزاحفة، وضد العولمة التي كانت توجد بشكل جنيني في بداية القرن وأصبحت الآن مسيطرة ومهيمنة.

إن الهوية في الواقع شكل أساسي من أشكال المقاومة شرط ألا تتحول إلى "غيتو" يدخل فيه الإنسان ويتخندق .

هذا لا يعني أن تمسكنا بهويتنا العربية الإسلامية سيفصلنا عن الآخرين، ويمنحنا حقوقاً مطلقة، كما فعلوا في ألمانيا النازية وفي التشكيل الاستعماري الغربي. الهوية العربية الإسلامية هي مجموعة من السمات الإنسانية المختلفة التي قد تسم جماعات إنسانية أخرى، ولكنها توجد بشكل معين وبترتيب محدد يعطي الهوية العربية فرادتها.

ففي الدولة الإسلامية مثلاً كان يوجد هويات مختلفة، لكن رغم ذلك كانت غير متنازعة. كان يمكن للإنسان أن يأتي من خراسان إلى مصر فيُرحّب به، وكذلك أهل المغرب الذين وجدوا في مصر وطناً لهم من دون أي مشكلة.

ولعل الفن الإسلامي هو أكبر دليل على التنوّع والاختلاف لدرجة أن بعض المؤرخين الغربيين ينفون وجود فن إسلامي بسبب تنوعه، وفي الواقع هناك فن إسلامي هندي، وإسلامي عربي الذي

ينقسم بدوره إلى إسلامي مصري (فاطمي وأيوبي ومملوكي) وإسلامي دمشقي وهكذا.

الإسلام قد قبل التنوّع داخل إطار شامل من الوحدة، وحدة ليست عضوية، وإنما فضفاضة، وهو تنوّع قد سمح للجماعات الدينية والإثنية المختلفة بأن تبدع من خلاله، مثل إبداع الأكراد وإبداع العرب المسيحيين واليهود.

وقد كان هذا النموذج للهوية مرفوضًا من الغرب حتى عهد قريب، لأن التعريف الغربي للهوية كان تعريفًا عضويًا، أي يرى الهوية باعتبارها كيانًا متماسكًا تمامًا وكأنها النبات أو الحيوان أو كيان عضوي، لا يمكن أن تفصل أجزاءا منه ويكتب له البقاء.

أذكر أنني عندما كنت في الولايات المتحدة في الستينيات: كانوا دائمًا يسألونني هل أنت عربي أم مصري أم مسلم، ويشيرون إلى هذا باعتباره اختلاطًا في الهوية، ومن ثم نقطة سلبية. فكنت أشير إلى جون ميلتون الشاعر الإنكليزي الذي عاش في عصر النهضة، وكان يكتب بالإنكليزية واللاتينية ويعدّ نفسه إنكليزيًا وأوروبيًا ومسيحيًا في الوقت ذاته، وكان يتحدّث باللاتينية مثلاً مع أصدقائه حين ينتقل في أرجاء أوروبا. وكانت تواريخ الأدب ترى هذا دليلا على عظمة عصر النهضة الغربية، فكنت أقول لهم أنا أيضا دمنهوري عربي مسلم، وفي بداية الأمر ونهايته إنسان، فإنسانيتي العامة المشتركة لا تتناقض مع انتماءاتي المتعددة.

إن الرؤية الغربية الحديثة رؤية مادية عضوية مصمتة، تجعل

الإنسان صاحب الهوية الذي يعيش على أرضه القومية ومجاله الحيوي، موضع الحلول ومرجعية ذاته، ولذا لا يمكن استئناف أحكامه، ثم فرضوا هذه الرؤية على الواقع بالقوة، فظهرت فكرة الدولة القومية العضوية وكل هذه المفاهيم العنصرية. وقد أدى هذا إلى أن الحدود الديموجرافية والدينية والسكانية لهذه الدولة العضوية تماثلت مع الحدود الجغرافية، وبالتالي تم القضاء على معظم الأقليات. فالثورة الفرنسية قضت على كثير من الأقليات، وعلى مجموعة من اللهجات، مثل لهجة "الأوكستانيان و"البريتون". وهذه صفة في أوربا منذ القدم.

وأذهب إلى أن أهم تفعيل للهوية في التاريخ العربي الحديث هو الانتفاضة الفلسطينية التي استدرجت "الإسرائيليين" إلى أرضية غير حديثة يصعب على الجندي "الإسرائيلي" أن يتعامل معها بكفاءة، ولم يجد الصهاينة حلا لهذه الورطة إلا بالالتفاف حول الانتفاضة لكبح جماحها، ومن هنا كانت اتفاقية أسلو. وهناك محاولات أخرى لتفعيل الهوية مثل قيام الدكتور حامد الموصلي بعدة مشاريع ناجحة نابعة من تفعيل الهوية، مثل صنع الخشب من سعف النخيل. وهناك محاولات الدكتور عبد الحليم إبراهيم وراسم بدران لتطوير معمار إسلامي حديث. كما يمكننا تفعيل مؤسسات وسيطة مثل الأسرة والجيرة، بحيث يمكن إدارة مجتمعنا بطريقة إنسانية. والله أعلم.

في الدفاع عن الهوية

• الهوية الإنسانية هي المستهدفة • مع تآكل الهوية غاب المثل الأعلى • الهوية ليست فولكلور بل هي رؤية كاملة للكون • الدولة الصهيونية هي أكبر تهديد للهوية العربية (الإسلامية) •الوحدة يجب أن تتسع للتعددية • لابد أن نطرح رؤيتنا لحداثة إنسانية إسلامية تضمّ الجميع • إذا عرفنا هويتنا يمكن أن نتحرك نحو المستقبل.

يرى البعض أن هناك استهدافًا للهوية العربية بحد ذاتها أو بشكل خاص، ولكنني أذهب إلى القول أن هذا صحيحًا وغير صحيح في الوقت ذاته، فهناك ما يهدد الهوية على الصعيد العالمي، حيث أفرزت الحضارة الغربية ظواهر تهدد ظاهرة الإنسان نفسه، من أهمها ما أسميه الاستهلاكية العالمية التي تضرب صميم ثوابت الإنسان وأخلاقياته.

لقد ظهر في القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة حضارة جديدة تتميز بالبرجماتية بمعنى أنها تفضل السهل على الخيّر والجميل. هذه الحضارة حققت انتشارًا غير عادي وأصبح يطلق عليها اسم النظام العالمي الجديد، وهى ترجمة لنظرية أن الناس

هم مجموعة من البشر ليست لها هويات محددة، وما يهم هو الوفاء باحتياجاتهم المادية المباشرة، وبذلك اختفى المشروع الخاص وحلت محلة حضارة الكوكاكولا والهامبورجر!

ومع تآكل الهوية، يزداد التراخي الإنساني، وتزداد النزعات الذرية في المجتمع، وتصبح الهجرة إلى الخارج أو السطو على بنك أو شراء ورقة يا نصيب هو الحل، وأصبح من الصعب أن نطلب من الجماهير أن تستيقظ مبكرة، وأن تضحي بنفسها وأن تؤدي عملها في غياب مثل أعلى!!

لابد أن يدرك الناس أن الهوية ليست مجرد فولكلور ولكنها في واقع الأمر تعبير عن رؤية كاملة للكون. فالناس تستيقظ كل يوم لأداء عملها لتحقيق هدف ما، ولكن بدون وجود هدف تصبح عملية الاستيقاظ عملية بيولوجية خالية من المعنى. بينما أعتقد أنه في ظل وجود مشروع حضاري يعبر عن الهوية وعن رؤية الكون يصبح الاستيقاظ فعلاً إنسانيًا يسهم في بناء الوطن.

ومع هذا هناك عوامل تهدد الهوية العربية على وجه الخصوص منها أن حضارة الصورة بدأت تحل محل اللغة المكتوبة أو الشفهية، والعرب لم يتملكوا بعد ناصية هذه اللغة الجديدة، ولذا فإن الأفلام الأمريكية والفيديو كليبات (التي تعبر عن رؤية للكون لا تكترث كثيراً بالهوية أو بمجموعة القيم المرتبطة به) تكتسح الإنسان الغربي وتقوّضه .

كما أن أكبر تهديد للهوية العربية هو الدولة الصهيونية، لأن مشروعها هو بعث ما يسمى "الهوية اليهودية"، وهذا يتطلب تفتيت الهوية العربية ومحوها. ومن هذا المنظور الصهيوني لابد من العودة إلى ما قبل الإسلام، حيث كانت هناك هوية آشورية وفرعونية وفينيقية، ومن هنا الدعوة للعودة إلى الحضارة الفرعونية في مصر، وإلى الحضارة الفينيقية في لبنان والحضارة الآشورية البابلية في العراق! وهذه كلها حضارات مُتحفيّة جميلة، لكنها ليس لها امتداد في الحاضر. ولكن الدولة الصهيونية تريد أن يصبح الشرق الأوسط مقسم إلى دويلات أثنية ودينية وعرقية، ومن ثم تصبح الدولة العبرية مسألة طبيعية للغاية، لأنه داخل التشكيل الحضاري العربي فإن مثل هذه الدولة تصبح كيانًا دخيلاً شاذًا! وقد ترجم المخطط الصهيوني نفسه في الآونة الأخيرة إلى فكرة السوق شرق الأوسطية، ثم مشروع الشرق الأوسط الكبير، حيث يتم تفتيت الهويات، لتظهر الهوية العبرية وتقوم بقيادة المنطقة وتوظفها لصالح الغرب .

هناك كذلك محاولة لضرب الفصحى، وعاء الذاكرة التاريخية، وبدون هذه الذاكرة التاريخية وبدون الفصحى يتحول الإنسان العربي إلى الإنسان ذي البعد الواحد الذي يمكن التنبؤ بسلوكه ويمكن توجيهه ليستهلك السلع التي تنتجها له الشركات عابرة القوميات والحدود والهويات. أما الإنسان الذي لا

يدخل ضمن هذه المنظومة فإنه إنسان غير استهلاكي وبالتالي فهو بوسعه مقاومة هذه المنظومة.

لكل هذا لابد أن نتصدى للجهود المبذولة لتفتيت الهوية، فلابد أن نبين لجماهيرنا أن الهجوم على الهويات هو إحدى السمات الأساسية للنظام العالمي الجديد، وأن الهجوم على الهوية العربية هو إحدى البنود الأساسية في المخطط الاستعماري بالنسبة لعالمنا العربي، وأن نبيّن لهم ضرورة التمسك بالهوية، وأنها ليست مجرد زخرف جميل، وإنما مكون أساسي من شخصيتنا القومية، وأن التنمية بدون تفعيل الهوية أمر مستحيل. وحيث أن منتجات الحضارة الغربية (الأفلام- الفاست فوود- الاستهلاكية) هي التي تهدد هويتنا، يصبح من الضروري أن نبيّن الجوانب المظلمة للحضارة الغربية ولمنتجاتها التي تُصدّر لنا والتى نبتلعها ونهضمها بسهولة بالغة.

ومن هنا ضرورة قيام وكالة أنباء عربية متخصصة تعمد إلى رصد هذه الحضارة، بعيدًا عن تأثير الإعلام الغربي، وتبيّن الثمن الفادح الذي يدفعه المواطن الأمريكي بسبب سياسات الحكومة الأمريكية.

كما يجب أن نطرح مفهومًا للوحدة غير العضوية فيما أسميه "الوحدة الفضفاضة" التي تفسح المجال أمام كل الجماعات الإثنية والدينية أن تعبر عن هويتها، طالما أن هذا التعبير لا يفت

في عضد سيادة هذه الدولة. فالنظام التعليمي -مثلا- ينبغي أن يقبل بالتعددية. والوحدة الفضفاضة هذه تسمح لكل دولة أن تدخل في إطار الوحدة العربية دون أن تفقد ما يميزها. فالمغرب - على سبيل المثال- بلد عربي إسلامي، يتسع لجماعات أخرى مثل الجماعات الأمازيغية. والعراق بلد عربي إسلامي يتسع للسُنَّة والشيعة والأكراد والتركمان.

وأعتقد أن نموذج مصر نموذج جيد لهذه الوحدة الفضفاضة، فرغم كل الأحداث (الأخيرة)، يظل أقباط مصر لهم عقيدتهم وهويتهم، ويظلون جزءًا من المجتمع المصري. إن فرض مفهوم الوحدة العضوية يؤدي إلى العنف والصراع، أما مفهوم الوحدة الفضفاضة فسيخلق لكل جماعة فضاءها الحضاري الخاص بها، وسيندرج الجميع داخل إطار التشكيل الحضاري العربي. ولعل ما حققته الدول الأوربية من خلال الاتحاد الأوربي قد يكون نموذجًا نسترشد به .

وقد فشلت مشاريع النهضة العربية في العصر الحديث لأنه، مع الأسف، لا يزال البعض يرى أن جوهر المشروع النهضوي العربي هو التخلّي عن هويتنا وتراثنا ثم اللحاق بالغرب. وقد أدى هذا إلى إسكات حاستنا النقدية في علاقتنا بالغرب، ونكتفي بنقل ما يأتينا من أفكار. لننظر مثلا ماهو موقفنا من الحداثة؟ هناك من السلفيين من يرى ضرورة رفض كل ما يأتينا من الغرب، وهناك

الأصوليون العلمانيون الذين يرون ضرورة (وأحياناً حتمية) تبني منظومة الحداثة الغربية، بخيرها وشرها، وحلوها ومرّها، وكأننا كائنات متلقية تستوعب كل ما يأتينا من الغرب دون أن نعمل ملكتنا النقدية.

ألا يمكن أن نُخضِع هذه الحداثة الغربية لعملية نقد وتقييم صارمة، فنبيّن جوانبها المظلمة، ثم نطرح رؤيتنا لحداثة إنسانية إسلامية تضم الجميع، ولا تجعل من تصاعد معدلات الاستهلاك مؤشراً يتيماً على التقدم؟

بل فلننظر إلى ما فعلنا مع مدرستين فكريتين مثل البنيوية والتفكيكية. لم يسأل أحد لماذا أصبح الغرب بنيويا معاديًا للإنسان؟ لقد تعلّمنا قديمًا الإنسانية الهيومانية من الغرب، فلماذا قرر الغرب فجأة في الستينيات أن يعادي الفكر الإنساني الهيوماني، ويرى أنه ملوث بالميتافيزيقا؟ ماذا حدث لتأتي التفكيكية وتعلن انتهاء المعنى وفشل اللغة، وموت المؤلف؟ لقد تحولنا إلى ناقلين، وعندما ينظر أحدنا إلى كتاب نقد أدبي غربي فإنه ينقل ما فيه بأمانة شديدة، ولا يسأل: إلى ماذا سيؤدي هذا المفهوم، وما مغزاه، وما هي المفاهيم الكامنة فيه؟

وقد لوحظ في الآونة الأخيرة استقطابًا واسعًا في الساحة المصرية حول طبيعة هوية مصر، إذ ظهر مرة أخرى دعاة العودة إلى الفرعونية، والذين ينادون بأن "مصر أولاً". وفي تصوري أن هؤلاء لا

يفهمون لا حقائق الجغرافيا ولا حقائق التاريخ. ولعلهم لو قرأوا جمال حمدان لفهموا بعض هذه الحقائق، ولعرفوا أن هم الاستعمار الغربي هو فصل مصر عن الجسد العربي، فيتهاوى الجميع سويًا. وهذا كان هو هدف معاهدة كامب ديفيد.

ألا يتم تقسيم العراق والسودان ولبنان ومحاصرة فلسطين، و "مصر أولاً" جالسة تراقب، وتلعب دورًا ذيليًا غير مؤثر غير مدركة أن كل هذا يهدد أمنها القومي؟

إن مصر (وفلسطين) من أهم البلاد في العالم من الناحية الاستراتيجية، ولكن بنيتهما التحتية السكانية والاقتصادية لا تمكّنهما من الدفاع عن نفسيهما. ولذا حين كانت تحدث نهضة في مصر كان لابد وأن تدافع عن جناحها الشرقي وتوطد صلتها ببقية العالم العربي، حتى يتحدث الجميع بصوت واحد أو تتحدث مصر باسمهم. هذا ما فعله الفراعنة، وهذا ما فعله إبراهيم باشا في العصر الحديث، ثم جمال عبد الناصر. ولذا كانت مواجهته مع الاستعمار مواجهة شرسة، انتهت بضربة ٦٧. ثم أطلت الفرعونية و"مصر أولاً" برؤوسها تعبيرًا عن هذه الهزيمة، ووصلنا إلى ما وصلنا إليه .

ويسأل البعض متى تستعيد مصر دورها الثقافي، وهل هذا له علاقة بقضية الهوية؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد أن أوضح أمرين: أولاً يجب علينا أن ندرك أن العالم العربي لم يعد كما

كان في منتصف القرن الماضي. ففي الخمسينيات كان يوجد مركز قوي وكثيف للثقافة العربية هو القاهرة، وكانت الأطراف ضعيفة. أما الآن فالأطراف لم تعد ضعيفة، إذ يوجد مراكز ثقافية عديدة في العالم العربي من أهمها المغرب وسوريا والعراق قبل الاحتلال ولبنان والسعودية. لقد أقمت في السعودية عدة أعوام وتعرفت على النشاط الثقافي الثري فيها وعلى مجموعة من المثقفين الذين يتمتعون بمستوى عالٍ من المعرفة والإبداع. كما أننا نعرف جميعاً الإبداعات الفكرية التي تأتينا من المغرب وتؤثر في كثير من الشباب المصري. كما أنني على علاقة طيبة بكثير من المثقفين والناشرين السوريين وأعرف إسهاماتهم الثرية الكثيرة.

ثانيا يجب أن ندرك أن مصر لن يمكنها أن تستعيد دورها القيادي الثقافي داخل هذا الوضع الجديد في العالم العربي، حيث لا مركز ولا أطراف، أو أطراف قادرة على الإبداع والإسهام، إلا بعد أن تعرِّف هويتها، ونحن إن عرفّنا هويتنا سيكون بوسعنا أن نعرّف أولوياتنا، وأن نقرأ ماضينا وحاضرنا، ومن ثم يمكن أن نتحرك نحو المستقبل. كما أنه إن عرفّنا الهوية فيمكن أن نجند الجماهير لتحقيق مشاريعنا نحو التطوير والتنمية والتحديث. فالإنسان لا يستجيب للقانون العام، وإنما يستجيب لما هو متعين وخاص، إذ بوسعه أن يستوعبه ويستبطنه ثم يتحرك في إطاره. إن أي مشروع

للتنمية يتطلب قدرا من الإرجاء لإشباع الرغبات حتى يتحقق قدرًا من التراكم. هذا الإرجاء ممكن في إطار مشروع قومي يتجاوز الفرد واحتياجاته المادية المباشرة وهمومه اليومية الخاصة. فبوسع الإنسان أن يحرم نفسه من الإشباع المباشر والفوري في إطار مثل أعلى سيحقق له، ولأولاده من بعده، قدرا من السعادة الآجلة.

لكي تقود مصر المنطقة العربية لابد أن تحدد هويتها .

وأنا أتساءل هل مصر بمكوناتها الحالية مرشحة لهذا الدور، أم أننا على مشارف تآكل هذه الهوية؟

وسوف أجيب على كل هذه التساؤلات بصراحة فأقول "أنا متشائم!!" لأن التوجه الآن في مصر هو توجه برجماتي عملي، فنحن نحاول أن نجد حلولا لبعض المشاكل الملحة مثل مشكلة الغلاء، أو المواصلات، أو المساكن، أو الميزان التجاري أو العطش دون أن نضع إستراتيجية عامة، ولا يمكن وضع مثل هذه الإستراتيجية إلا بعد أن نعرّف هويتنا ومرجعيتنا النهائية. وأنا أزعم أن هذا المشروع الحضاري الذي يستند إلى تعريف للهوية غائب عن مصر. فالهوية المصرية على المستوى المصري أو العربي أو الإسلامي ستزداد ترهلا وميوعة!! والله أعلم.

من فكر الدكتور المسيري بمناسبة رحيله

الإمبريالية النفسية

• خطاب الحضارة الغربية يقوم على الصراع والنفع المادي • الامبريالية النفسية هي إشاعة النزعة الاستهلاكية في العالم • في إطار هذه الحرب النفسية تتحول السلع إلى أوثان • مجال عمل الامبريالية النفسية هو النفس البشرية • بدلاً من إرسال الجيوش تطلق أدوات الترويض الإعلامية لفتح الإنسان وغزوه وقهره.

الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية هي الرؤية المهيمنة على المجتمعات الغربية، وعلى الإنسان الغربي في علاقته مع بقية أعضاء المجتمع، أو مع أعضاء أسرته، أو حتى مع نفسه. فهو حينما يبني بيتاً، يُخضعه تمامًا لعملية الترشيد المادية، حيث يبنيه بهدف الاتجار فيه وتحقيق الربح، ثم يتركه بعد بضع سنين، وكأن المنزل والسلعة لا فرق بينهما. وهو حين يدخل في علاقة مع أنثى، لا يبحث عادةً عن الطمأنينة وإنما يحاول تعظيم اللذة، وتتحول العلاقة العاطفية إلى علاقة غزو (**وهو ما عبّرنا عنه بأن الحضارة الغربية حضارة يتراجع فيها الخطاب الجوّاني للمحبين، خطاب التآلف والتراحم، ليحل محله الخطاب**

الإمبريالي البّراني للمتصارعين والنفعيين الماديين، خطاب الغزو والتناحر).

وهو إنسان بسيط ذو بُعد واحد دائم التنقل والترحال لتحقيق الربح، وتحسين مستواه المعيشي، ومعدلات الاستهلاك الخاصة به، فهو مادة استعمالية جيدة مرنة مطاطة، شيء بين الأشياء، يمكن توظيفه ويقوم هو بتوظيف الآخرين.

وحينما يصل هذا الإنسان الغربي المرن إلى سن يصبح فيه غير منتج، فإنه يقبل أن يُنقَل طواعية إلى بيت المسنين غير المنتجين، لينتظر (كمادة بشرية مرنة) الموت في بيوت مكيفة الهواء بعيدًا عن المجتمع المُنتج، وبعيدًا عن الحياة. بل إن ما يُسمَّى «حضارة الفوارغ» (ديسبوزابل disposable) هي حضارة إمبريالية توظيفية تستهلك كل شيء، وتوظف كل شيء، وتبدد كل شيء (الطاقة – المواد الخام – الأغاني – جسد الأنثى – طبقة الأوزون).

كما أن الاتجاه التدريجي نحو فرض النموذج الآلي على سائر أشكال الحياة في الغرب، وهو مصدر شكوى كثير من المفكرين الغربيين، إن هو إلا تعبير عن إبستمولوجيا الغزو والتحكم والترشيد العلماني الإمبريالي وتَزايُد رقعتها في مجالات الحياة. ولا تزال حضارة الترشيد العلمانية الإمبريالية هذه تُخضع الإنسان الغربي ذاته لأسوأ أنواع الإمبريالية، التي يمكن أن نسميها «الإمبريالية النفسية».

والإمبريالية النفسية مصطلح يرد بشكل ضمني في كثير من الكتابات الغربية (دون تسميته). وهى لم تقفز إلى الوجود فجأة،فهي كامنة في متتالية الحداثة المنفصلة عن القيمة، وفي اقتصاديات السوق الحر، الذي تتحكم فيها قوانين العرض والطلب المنفصلة عن القيمة وعن أي غائية إنسانية (الليبرالية الاقتصادية).

ويمكن القول إن العلمانية الشاملة هي النظرية، والإمبريالية هي التطبيق، فهما وجهان لعملة واحدة. وقد أخذت العلمانية الشاملة في الداخل الغربي شكل الترشيد في الإطار المادي، فتم تنميط الإنسان الغربي وتدجينه، وأصبح من السهل تحويله إلى مادة استعمالية، أي طاقة إنتاجية وقتالية، وتم تجييش الجيوش، وهذه هي الإمبريالية النفسية.

ثم أرسلت هذه الجيوش لاستعمار العالم وهذه هي الإمبريالية العسكرية، ورغم أنهما تطبيقان مختلفان لنفس المفهوم، إلا أنهما يختلفان باختلاف مجال التطبيق.

وقد وصف هربرت ماركوز هذه الإمبريالية النفسية التي هيمنت على الداخل الغربي وصفًا دقيقًا حين قال: إن المجتمع الأمريكي هو مجتمع التسامح القامع oppressive tolerance، أي أن هذه المجتمعات الغربية هي مجتمعات شمولية بدون قهر خارجي، بدون ضرورة وجود شرطة، بدون قهر مفروض مرئي.

أما فيبر فقد قال: إن عمليات الترشيد ستؤدي إلى القفص الحديدي. ويتحدث زيميل عن السجن الحديدي.

أما هابرماس فكان أكثر وضوحا فقد قال: إن ما يحدث في المجتمع الغربي الحديث هو «استعمار عالم الحياة». فالمواطن الأمريكي يستبطن الرؤية السائدة في المجتمع فتهيمن عليه تمامًا بكامل رضاه، وهو في الوقت ذاته لا يستطيع الفكاك منها، وتصبح نظرته للحياة هي مجرد زيادة الإنتاج وزيادة الاستهلاك، أي أنه يظن أنه يدخل بكامل إرادته وحريته دائرة الاستهلاك والإنتاج العبثية. وهذا السعار الاستهلاكي ليس مسألة انحطاط خلقي وسلوك فردي واختيار حر، وإنما هو وضع اجتماعي شامل ونموذج ضخم يهيمن على الإنسان من الخارج، ويستبطنه المرء دون أن يشعر. وإن نجح المرء في مقاومة هذا الغزو فإن أفراد أسرته قد لا يكونون في مثل صموده. فالمجتمع هو الذي يحدد مقاييس السعادة واللذة، ومهما حاول المرء أن يفلت من الحتميات الاجتماعية فإنه يجد نفسه محاطًا بالمعايير الاجتماعية، لا يمكنه الفكاك منها إلا من خلال فعل عنيف، كأن يتحول إلى هيبي زاهد في الدنيا، برغم تمتعه بها.

والهيبي يجسد أسطورة الفشل، وهي عكس أسطورة النجاح المهيمنة على العقل الأمريكي. أما المواطن العادي، الذي يعيش حياة "عادية" داخل المجتمع، فهو يقع في شراك الاستهلاكية بكل

بساطة، خاصة وأنه منذ نعومة أظافره قد استبطن الأيديولوجية الاستهلاكية من خلال الدمى والبرامج التليفزيونية المختلفة (تُعدّ العروس باربي وأصدقاؤها من أهم آليات إشاعة الأيديولوجية الاستهلاكية).

في داخل هذا الإطار الاستهلاكي العبثي، منفلت العيار، كان من المحتم أن ترتطم الإمبريالية العسكرية بحدود المكان لأسباب كثيرة. فهي في نهاية الأمر تمدد جغرافي، يصل منتهاه بالاستيلاء على كل أسواق العالم، كما حدث مع بداية القرن العشرين. وقد أدركت القوى الإمبريالية الغربية كذلك أن استنزاف المصادر الطبيعية في آسيا وأفريقيا وكل أطراف المعمورة قد تزايد، تماما مثل التزاحم على الأسواق، وأن تكلفة المواجهة العسكرية مع شعوب العالم الثالث (وهي الآلية التي تستخدمها الإمبريالية التقليدية لاستعباد الشعوب واستغلالها وتحويلها إلى مادة استعمالية) أصبحت باهظة. وقد أدركت الإمبريالية العسكرية كذلك أنه مع انتقال المجتمعات الغربية من مرحلة الصلابة إلى مرحلة السيولة تراجعت ما أسميه بالنزعة الجهادية عند الشباب الغربي. ففي مرحلة الصلابة كان المواطن في الغرب يؤمن بأسبقية المجتمع على الفرد، فظهرت مفاهيم مثل التضحية والإيمان بالوطن وضرورة الدفاع عنه. وفي هذا الإطار أيضا ظهرت مفاهيم مثل تفوق الرجل الأبيض والإمبريالية التقليدية المبنية على المواجهة العسكرية.

ثم انتقلت هذه المجتمعات إلى مرحلة السيولة حيث يؤمن المواطن بأسبقية الفرد على المجتمع، ولذا تظهر مفاهيم مثل المصلحة الشخصية والمنفعة والخلاص من خلال السلطة واللذة، وما سمّاه أحد علماء الاجتماع حضارة الأنا، ولم يعد الشباب مكترثًا بمفاهيم مثالية مثل "الكفاح من أجل الوطن" و "التضحية من أجله". فأحكمت الحضارة الاستهلاكية قبضتها عليه.

لكل هذا وجدت القوى الإمبريالية بعد ارتطامها بحدود السوق العالمي وبعد اكتشاف عجزها عن المواجهة العسكرية، أن المخرج الوحيد لها هو نشر النزعة الاستهلاكية في بقية أنحاء العالم.

قررت الإمبريالية الغربية توسيع رقعة السوق لا عن طريق الانتشار الأفقي في الخارج (الذي يتطلب القوة العسكرية)، وإنما عن طريق الانتشار الرأسي داخل النفس البشرية (الجوانية) ذاتها، التي تتحول إلى سوق دائم الاتساع، فتحل الذات الجوانية محل الأسواق البرانية.

وهكذا يحل البراني محل الجواني، ومن ثم يسهل التحكم فيه. ويمكن القول بأن النظام العالمي الجديد هو عولمة لهذه الإمبريالية النفسية، وتعميم لمفهوم الإنسان الاقتصادي/ الجسماني، وهو إنسان ذو بعد واحد لا يكترث بالوطن أو بالكرامة، ولا يهمه سوى البيع والشراء والمنفعة واللذة.

والهدف من الإنتاج من منظور الإمبريالية النفسية هو

الاستهلاك، والهدف من تزايد الإنتاج هو تزايد الاستهلاك، وحياة المرء تكتسب معنى إن هو استهلك، ومزيدًا من المعنى إن هو صعَّد من استهلاكه (وقد عرفت التنمية والحداثة بأنها ثورة التوقعات المتزايدة!).

أحد المفكرين الغربيين صرح بأن المجتمعات الاستهلاكية لا يهمها المعنى ولا تبحث عنه، فالسلعة تصبح هي البداية والنهاية وهي مركز الوجود، بل وهي التي تضفي معنى على حياة الإنسان الاستهلاكي، ومن هنا مصطلح comodification والذي يعني أن السلعة تزيح الإنسان من مركز الكون لتحل محله، وتصبح السلعة أكثر أهمية من الإنسان.

ويوجد مصطلحات شبه مترادفة مع هذا المصطلح مثل التوثّن fetishism .

وهي تعني أن الأشياء (بما في ذلك السلع) تتحول إلى أوثان يتعبد الإنسان في محرابها بعد إزاحته من مركز الكون. ونفس الأمر ينطبق على مصطلح التشيؤ .reification ثمة مصطلح في علم الاجتماع الغربي هو "demystification" أي "نزع الأسرار والأسطورة عن الإنسان"، وهذا ما تفعله الإمبريالية النفسية فهي تحاصر النفس البشرية بثورة التوقعات والتطلعات التي لا تنتهي. وحيث إن الإنسان يقف عاريًا ضعيفًا وحيدًا أمام ما

أسميه قطاع اللذة في المجتمعات الحديثة التي تنظر للإنسان باعتباره مجموعة من الدوافع والحاجات الجسدية التي يمكن الوفاء بها، يصبح من السهل ترشيده وتدجينه وتنميطه فيدخل الآلة الاستهلاكية الجهنمية بعد أن يلقى في روعه أن السلع لا تحقق منفعته وحسب، بل سعادته، أي لذته أيضا. وأنه كي تكتمل سعادته، وكي يحقق ذاته لابد من شراء سيارة جديدة كل عام، ولابد له من شراء قميص من النوع الفلاني وأحذية من النوع العلاني، ومن ثم تتحول كثير من الكماليات إلى ضروريات لا تكتمل السعادة في الحياة الدنيا بدونها.

بل إن قطاع اللذة يَعِدُ الإنسان بالفردوس الأرضي الذي سيريحه تمامًا من عبء التاريخ والالتزام الخلقي والإحساس بالمسئولية تجاه الآخرين، بمعنى أن الإنسان يتم محاصرته تمامًا من الداخل والخارج، فالرسائل التي تصله من الإعلام والأفلام تحمل رسالة الخلاص من خلال السلعة. بل إن بناء المدن الغربية يُجسِّد هذه الرؤية الإمبريالية من طرقات تهدف إلى تعظيم السرعة، إلى حركة يومية تُبَدد فيها الطاقة الإنسانية والطبيعية، ويُلوَث فيها الجو، ويدور فيها كل شيء حول السوق والسلع.

والإنسان من منظور الإمبريالية النفسية هو أساسًا حيوان اقتصادي جسماني لا يبحث إلا عن منفعته (الاقتصادية) ولذته

(الجسدية)، وأن سلوكه لابد أن يصبح نمطيًا حتى يمكن أن يستهلك السلع التي تنتجها خطوط التجميع.

هذا الإنسان لا يهدف إلا إلى تحقيق المنفعة واللذة لنفسه، ويرى أن خلاصه يكمن في ذلك. في الماضي كانت "الحاجة هي أم الاختراع"، أما في إطار الإمبريالية النفسية أصبح "الاختراع هو أبو الحاجة"، إذ لابد أن تظهر سلعة جديدة كل يوم. ومن هنا يدخل الإنسان دائرة الإنتاج التي لا هدف لها والآخذة في الاتساع إلى ما لا نهاية.

تحول الإنسان ذاته إلى سوق بلا قرار يمكن أن تلقي فيه بالسلع والمزيد من السلع، وكلما زادت عجلة الإنتاج في الدوران وقف الإنسان، لا في مركز الكون كما هو الحال مع الفلسفات الإنسانية، وإنما مثل الثقوب السوداء في الفضاء التي تمتص كل شيء وينعدم فيها المكان والزمان.

ولكن الاستهلاكية أو الإمبريالية النفسية تمتاز عن الإمبريالية العسكرية في أن مجالها هو النفس البشرية، إذ إن فلاسفة هذه النزعة اكتشفوا حقيقة أساسية اكتشفها آخرون من قبل (فقهاء وعلماء اجتماع وشعراء) وهي أن النفس البشرية لا تشبع قط، وأنها في غياب الحدود يمكنها أن تتمدد دون توقف، إلى أن تُفني نفسها فيما حولها وفيما تشتهي. ولكن بالنسبة

للفقهاء والعلماء والشعراء كانت هذه الحقيقة هي مصدر النكبة، أما بالنسبة لفلاسفة الاستهلاكية فهي تمثل نقطة ثبات تصلح أساسًا فكريًا ونفسيًا لفلسفتهم.

بدلا من إرسال الجيوش الإمبريالية لآسيا وأفريقيا لفتح الأسواق، تطلق أدوات الترويض المختلفة مثل البرامج التليفزيونية، والأفلام، والموضة (أو جماليات الصيرورة) لفتح الإنسان ولغزوه وقهره. وبدلا من النظرية العنصرية والتفاوت بين الأجناس التي استخدمتها الإمبريالية العسكرية لفتح الأراضي والقارات، تستند الاستهلاكية (أو الإمبريالية النفسية) إلى نظريتها في الطبيعة البشرية، فهي تنكر عليها أي ثبات، وترى أنها في حالة صيرورة دائمة وتغير دائم، غارقة في النسبية الشاملة، وأن الإنسان ليس بوسعه أن يفرق بين الأبيض والأسود أو الأصفر، فكلهم مجرد مادة نزعت عنها القداسة تصلح للطاحونة التي تدور والتي لا تبقى ولا تذر، كلهم مادة خام محايدة صالحة: التمدد الدائم والانتشار الذى لا نهاية له، أو الانتشار كنقطة ثبات وحيدة، تمامًا كما أن النسبية هي المطلق الوحيد.

وتقوم الإمبريالية النفسية بتحديد الهدف من الحياة للمواطن أو المشاهد، فهو ليس السعادة أو التوازن وإنما الاستهلاك ومزيد من الاستهلاك، وكما يقولون في الخطاب الشعبي الأمريكي

Shop till you drop" فلتتبضّع حتى تسقط ميتا من الإنهاك". وهناك اصطلاح "مدمن التبضع "shopaholic أي الإنسان الذي يذهب للتبضّع لا لأنه يريد شراء شيئًا ما وإنما لأنه أدمن هذه العملية .

وقد نجحت الإمبريالية النفسية في معظم أنحاء العالم، ولكن أهم ضحاياها، والذي تم افتراسه تمامًا، هو الإنسان الأمريكي ذاته. فقد قام الإعلام بتفريغه من الداخل، فالإعلام له سطوة في الولايات المتحدة خاصة أنه فنيًا ناجح جدًا ومُسَل، فأتفه الأشياء يجعلونها مسلية وجميلة.

إن الإعلام الأمريكي نجح كما أسلفت في ترسيخ الرؤية الاستهلاكية، كما نجح أيضًا بالفعل في عزل الإنسان الأمريكي عما يدور حوله في العالم، برغم أن جيوش الولايات المتحدة ومخابراتها تتحرك في كل أنحائه بشكل علني أحياناً، وسري أحياناً أخرى.

وقد أدى هذا إلى تبسيط الوجدان السياسي للإنسان الأمريكي بحيث يمكن للسلطة الحاكمة أن تملي عليه ما تريد من أفكار يعتنقها بتلقائية مدهشة وبكامل حريته! فهو من أحادية البعد بحيث لا يمكنه أن يعمل ملكته النقدية، وأن يتجاوز الحدود التي فرضت على وجدانه، والتي رسمتها له النخبة الحاكمة وعزلته عما يدور في أنحاء العالم .

من فكر الدكتور المسيري بمناسبة رحيله

الإنسان والتاريخ

• اليهودية ترى أن الإله (المطلق) حلَّ في الشعب اليهودي • الباحث التاريخي عليه أن يتناول التاريخ الزمني بمعزل عن التاريخ المقدس • التاريخ في نظر المسلم هو مجال حرية الإنسان • مفهوم الخطيئة في الإسلام يختلف كل الاختلاف عن الفهم المسيحي.

رؤية الإنسان للتاريخ تعبر عن رؤيته للكون (وللإله والإنسان والطبيعة)، ولذا فدراسة رؤية التاريخ هي في واقع الأمر دراسة لرؤى الكون (ومن ثم النماذج الإدراكية والتحليلية).

وحتى نفهم رؤى التاريخ (والكون) سنطرح إشكالية تواجهها كل الديانات التوحيدية وهي: كيف يخاطب الخالق المخلوقات، فالخالق مطلق والمخلوقات نسبية، والإجابة على هذا السؤال تحدد الموقف من التاريخ. فكل عقيدة توحيدية تطرح نقطة تقاطع بين الخالق والمخلوق. في حالة الإسلام نقطة التقاطع هذه ليست الرسول عليه الصلاة والسلام ولا أي فرد وإنما القرآن، فالله سبحانه وتعالى أرسل القرآن هداية للعالمين، والرسول عليه الصلاة والسلام ليس تجسدًا لله، وإنما هو رسول وحسب، مجرد إنسان يحمل الرسالة.

والقرآن هو اللوجوس، أي الكلمة، وهي كلمة بالفعل، كلمة مكتوبة في كتاب يمكن لأي إنسان أن يقرأه ويفهمه. وقد أشرت إلى أن الرسول مجرد إنسان وهو إلى جانب ذلك هو خاتم المرسلين، بمعنى أن الله أرسل لنا الرسالة، وقطع على نفسه وعدًا بأن يرعانا، فهو رحمن رحيم، ولكنه لن يتدخل في التاريخ الذى أصبح مجال حرية الإنسان، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وبالتالي يصبح التاريخ مجالا للتعارف والتدافع.

وكل إنسان قادر على تجاوز السطح المادي انطلاقًا إلى قيم إنسانية غير خاضعة لقانون المادة، ولكنه أيضًا بوسعه أن يختار أن يذعن لقوانين المادة، ويفقد ما يميزه كإنسان.

فالإنسان هو الكائن الوحيد القادر على أن يرتفع على ذاته أو يهوى دونها، على عكس الملائكة والحيوانات، فالملائكة لا تملك إلا أن تكون ملائكة والحيوانات هي الأخرى لا تملك إلا أن تكون حيوانات، أما الإنسان فقادر أن يرتفع إلى النجوم، أو أن يغوص في الوحل.

القرآن هو رسالة مقدسة مدونة في كتاب ليقرأها من يشاء، ويظل التاريخ حيزًا مستقلاً هو مجال حرية الإنسان يتصارع فيه البشر ويتدافعون.

وقد حلّت العقيدة المسيحية مشكلة التواصل بين الخالق والمخلوق بأن جعلت نقطة التقاطع هي شخص المسيح، اللوجوس،

ابـن الإلـه، الـذي ينـزل إلى الأرض ليفـدي البشـر بدمـه وهـذا هـو التجسدincarnation ، مما أدى إلى ظهور إشكالية جوهرية، لأنه حين نزل ابن الإله إلى الأرض وتحول اللاهوت إلى ناسوت، والإلهي إلى إنسـاني فإنـه بـذلك دخـل في إطـار الزمـان الـدنيوي المـادي واقـتحم التـاريخ الإنسـاني، فتـداخل التـاريخ المقـدس بالتـاريخ الـزمني. وقـد حاولـت الكنيسـة الكاثوليكيـة أن تحـل هـذه الإشـكالية بأن جعلت الحلول يتركز في فرد واحد وليس في جماعة بشرية هو المسيح، وهو حلول انتهى بالصلب وصعود المسيح وعودته إلى أبيه في السماء. لكن العقيدة المسيحية تستند إلى حادثة الصلب هذه، فجعلت الكنيسة من نفسها جسد المسيح، وأصبح البابا هو صاحب العصمة، بمعنى أنها أحاطت الحلول (والمقدس) بحواجز، حتى لا يتداخل التاريخ المقدس بالتاريخ الزمني. كما أنها قسمت العالم إلى قسـمين: قسـم ديـني يضـم رجـال الـدين مـن كرادلـة ورهبـان وراهبـات، وقسـم علمـاني (وهـذا أول اسـتخدام للكلمـة) يضـم بقيـة البشر وبقية مجالات النشاط الإنساني.

وهــذا يفســر أنــه لا يمكــن أن يُعلــن أي شــخص قديسًــا canonizationإلا بعد أن تعقد لجنة لدراسة الموضوع، حتى لا يختلط الحابل بالنابل، وحتى لا يدعي أحد أنه موضوع الحلول.

ولهـذا يلاحـظ أن الكنيسـة الكاثوليكيـة عارضـت عـبر تاريخهـا الحركات الألفية التي تنادي بأن المسيح سيعود مرة أخرى ليحكم

العالم لمدة ألف عام يسود فيها العدل والسلام، فهي عقيدة حلولية تنادي بنهاية التاريخ .

ولكن الإصلاح الديني فتح أبواب الحلول على مصراعيه، فخرج اللوجوس من الكنيسة، وأصبح الشعب هو موضوع الحلول، وعبر هذا عن نفسه في عقيدة إلغاء الكهنوت الكنسي، وظهر مفهوم كهنوت كل المؤمنينpriesthood of all believers ، بمعنى أن المؤمن يمكنه التواصل مع الإله مباشرة، لسبب بسيط وهو أن الإله قد حل فيه. (وهذه هي الرؤية اليهودية، كما سنبين فيما بعد).

ومن هنا إعجاب البروتستانت الشديد بالعهد القديم، وفي هذا الإطار ظهرت الصهيونية المسيحية. ومع تزايد معدلات الحلول في الإنسان يزداد ذوبان الجزء في الكل، والكل في الجزء، والإله في الإنسان والإنسان في الله، إلى أن يصبح الإله مجرد صوت داخلي يسمعه الإنسان الفرد، أي أن التماهي بين الخالق والمخلوق يصبح كاملا.

والنموذج الحلولي يفسر ظهور التفسيرات الحرفية، فهي تنطلق من إلغاء المسافة بين الخالق والمخلوق، ومن ثم إلغاء المسافة بين المقدس والزمني مما يعني تطابقهما، ولذا يصبح التاريخ الذي يرد في الكتاب المقدس هو نفسه التاريخ الزمني، وأن ما يحدث الآن أمام عيوننا هو ذاته ما حدث من قبل، أو جاءت

نبوءاته في الكتاب المقدس، وهذا هو إطار الصهيونية المسيحية.

ولكن حين يصبح التاريخ موضع الحلول فإن إنسانية الإنسان تتلاشى، لأنها تكمن حريته في الاختيار وفي مقدرته على التجاوز، ولذا نجد أن الذي يحدد لنا الهدف من الوجود والاتجاه الذي يجب أن نسير فيه هو الكتاب المرسل من الله وليس التاريخ، ويظل التاريخ هو مجال المحاولة والنجاح والإخفاق.

واعتقد أن علم التاريخ ظهر أول ما ظهر داخل المنظومة الإسلامية بسبب هذا، فقد أدرك ابن خلدون التاريخ كبنية تتحرك بهدي من الله، ولكن بدون تدخل منه، على عكس الرؤية المسيحية التي ترى أن التاريخ تعبير عن الإرادة الإلهية فيما يسمى providential history. وعلى عكس رؤية الإغريق القدامى للتاريخ باعتباره دائري وهندسي .

من منظور اليهودية، الشعب اليهودي هو ذاته نقطة التقاطع بين الخالق والمخلوق وموضع الحلول والتجسد الإلهي. لقد حل الإله (المطلق) في الشعب اليهودي (النسبي) الذى أصبح شعبًا مختارًا له حظوة خاصة عند الإله، بل وتحول الشعب اليهودي في هذا المنظور إلى إله، وأصبح تاريخه مقدسًا لا إنسانيًا، وفى بعض الأحيان يشار إليه بأنه "شعب مقدس" "وأمة الروح" بل وأحياناً اللوجوس أي الكلمة.

كما أن القبالاه (وهى التراث الصوفي الحلولي اليهودي الموغل

في الحلول) يرى الإله باعتباره السفيروت أو التجليات العشر النورانية، ويرى أن الشعب اليهودي هو السفيروت العاشر، أي أنه جزء عضوي من الإله، وهو الحلقة الأخيرة في التجليات العشر النورانية. فهو جزء من الإله ولكنه يوجد في هذه الدنيا، وهو الصلة بين الإله وبقية شعوب العالم. وهكذا محيت ثنائية الإله والإنسان تمامًا بالنسبة للشعب المختار. فحينما يذوب الجزء الإنساني في الكل الإلهي فإن الإنسان يفقد إنسانيته، ولذا فإن تاريخ الشعب اليهودي الزمني هو ذاته تاريخه المقدس، فتاريخ الملوك وتاريخ الأنبياء هو ذاته تاريخ الشعب اليهودي.

ويبدو أن الوجدان الصهيوني يدور في هذا الإطار فهو لا يميز بين التاريخ الزمني والتاريخ المقدس، وتنطلق الخريطة الإدراكية الصهيونية من هذا الافتراض. وهذا بالفعل كارثة معرفية وأخلاقية، تبدت في سلوك استعلائي وانطوائي بلغ ذروته في الصهيونية.

وقد تأثرت الدراسات التاريخية في الغرب بهذه الرؤية، فكثير من المؤرخين ينطلقون من التاريخ المقدس الذي ورد في التوراة، ثم يجدّون في البحث عن الآثار (التاريخ الزمني) للبرهنة على ما جاء في التوراة (التاريخ المقدس). ولكن يبدو أن علم الآثار الإسرائيلي الجديد بدأ يتخلص من هذه الأساطير.

ويظهر الاختلاف بين الرؤية القرآنية للتاريخ والرؤية التوراتية

في قصص الأنبياء، إذ يلاحظ أن القصص "التاريخي" الذي ورد في القرآن لا يرد كاملا (باستثناء قصة سيدنا يوسف) فلا يذكر سوى بعض النقط والوقائع ذات المغزى الأخلاقي، فالهدف من هذه القصص ليس تقرير واقعة تاريخية أو السرد التاريخي، وإنما بعض المعايير الأخلاقية. هذا على عكس الرؤية التوراتية، إذ ترد تواريخ الملوك كاملة، فالتاريخ الزمني هو ذاته التاريخ المقدس، فالشعب اليهودي هو موضع الحلول، اللوجوس الذي يحل محل ابن الله في المسيحية ومحل القرآن في الإسلام.

الباحث التاريخي المدقق عليه أن يتناول التاريخ الزمني بمعزل عن التاريخ المقدس. وإن حدث تلاقٍ بين الاثنين فمرحبًا، ولكن نقطة البدء لابد أن تكون التاريخ الزمني وليس التاريخ المقدس.

ويلاحظ أنه ظهر اتجاه في بعض الأوساط الإسلامية نحو دمج التاريخ المقدس بالتاريخ الزمني، فقد بدأ البعض يتصور أن تاريخ المسلمين، هو تاريخ إسلامي. مثل هذه الرؤية أصنفها على أنها رؤية حلولية ترى أن الله قد حل في تاريخ المسلمين وتجسد فيه، فاكتسب هذا التاريخ قداسة تجعله غير خاضع للنقد والتساؤل، أي أنها رؤية غير تاريخية للتاريخ، تمزج المقدس بالزمني بحيث يتوحدان فتسود الواحدية، وتصفى كل الثنائيات، ويصبح التاريخ كتلة واحدة مصمتة متجانسة.

وإذا كانت الحلولية تؤدي إلى ذوبان الأجزاء في الكل، فإن هذا

التاريخ تتساوى فيه التفاصيل، وتظهر مقولة واحدة وهي أن المسلمين محل رعاية خاصة من الله. وهذه الرؤية لا تختلف كثيراً عن الرؤية اليهودية الحلولية للتاريخ التي أفرزت الصهيونية والعنصرية. وهذا أبعد ما يكون عن الصحة.

تاريخ المسلمين ليس تاريخًا إسلاميًا. هذان أمران مختلفان، فالتاريخ الذي ورد في القرآن يعطينا مجموعة من القيم نحكم بها على التاريخ الزمني، والتاريخ الزمني هو مجال الفوضى والمعارك والسقوط والانتصار .

تاريخ البشر في الزمان هو تاريخ زمني. وأنا كمسلم أؤمن بأن التاريخ هو مجال حرية الإنسان. ومفهوم "خاتم المرسلين" الإسلاميُّ هو، في واقع الأمر، وعدٌ إلهي بأن الله سبحانه وتعالى سيترك الإنسان حرّا في التاريخ. فقد اكتملت الرسالة، ويمكن للإنسان أن يصل إلى الخلاص والهلاك بنفسه. فالتصور الإسلامي للطبيعة البشرية تصور مركب يرى الإنسان داخل إطار تاريخي ولكنه قادر على تجاوزه.

فالمسيحية تذهب إلى أن هناك "خطيئة أولى original sin " هي خطيئة آدم وحواء، وأن البشرية بأسرها تعاني من هذه الخطيئة اللصيقة بالوضع الإنساني ذاته، ولذا أصبح الخلاص مستحيلا من خلال الفعل الإنساني، ولذا يحتاج الإنسان لرحمة الإله عن طريق التدخل المباشر في التاريخ الزمني.

ولعله لهذا السبب كان لابد من التجسد، أي أن ينزل الإله من سمائه ليصبح بشرًا، وكان لابد وأن يصلب المسيح (ابن الإله حسب التصور المسيحي) ليفدي بدمه البشرية ويغسلها من خطاياها. ولذا يذهب اللاهوت المسيحي إلى أننا نموت في آدم ونولد في المسيح.

وكان لابد من طقس التناول، أي أن يتناول المسيحي الخبز الذي يتحول حسب التصور المسيحي إلى جسد المسيح ودمه، بحيث تجرى دماء الله في الجسد الإنساني فتغسل خطايا البشر، وكان لابد من ظهور مؤسسة الكنيسة (التي تسمى جسد المسيح) ليصل الإنسان إلى الخلاص "فلا خلاص خارج الكنيسة". ولكن إذا كانت الخطيئة لصيقة بالطبيعة البشرية ولا خلاص منها من خلال الفعل الإنساني داخل الزمان، فالعالم هو وادي الدموع مما يعني إلغاء التاريخ .

مفهوم الخطيئة في الإسلام مختلف تمام الاختلاف، فلا يوجد سقوط كامل ولا خطيئة أولى، وإنما هناك نسيان، فالخير كامن في فطرة الإنسان ولكنه ينساه ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾. ولذا فالقرآن هو الذكر، حتى يتذكر الإنسان الله، وحين يتذكره فإنه يخرج من حمأة المادة ليصل إلى فضاء إنساني تاريخي فسيح يمكنه أن يختار فيه.

في هذا الإطار يمكن للإنسان أن يخطئ ثم يتوب ويقوم بالعمل

الصالح فيغفر الله له، فالله يحب التوابين. هذا يعني أن التاريخ (الزمان والدنيا) هو مجال الخطأ والتوبة، هو مجال الفعل الإنساني الذي يمكن الإنسان من خلاله أن يخطئ وأن يصيب ويُثاب، فالخطيئة ليست لصيقة بالطبيعة البشرية، ولذلك فكل ما يحتاجه الإنسان في هذا الإطار ليس ابن الإله الذي ينزل إلى الأرض فيصلب وينزف دمه ليغسل خطايا البشر، وإنما رسول يحمل الرسالة، كلام الإله للبشر، وهم أحرار بعد ذلك في التاريخ. ولا يحتاجون إلى وساطة أو كهنوت. إن التاريخ هو مجال حرية الإنسان. والله أعلم.

أريد من هذا المكان أن أوجّه تحذيري إلى شعبنا والشعب العراقي والشعب الباكستاني وسائر الشعوب المسلمة، وأطلب بإلحاح تطويق الاختلافات الطائفية الشيعية السنية. أرى اليوم أيادٍ تعمل وفق خطة مرسومة لإثارة الخلافات بين المسلمين تحت لواء إثارة النزاعات الطائفية بين السنة والشيعة.

«المذابح التي ترتكب هنا وهناك والانفجارات التي تحدث في المساجد والحسينيات وصلوات الجماعة والجمعة من المؤكد أن وراءها اليد الخبيثة الصهيونية والاستكبارية. هذه ليست من ممارسات المسلمين.

الإمام الخامنئي

من فكر الدكتور المسيري بمناسبة رحيله

الرؤية الصهيونية للتاريخ

• الجيب الاستيطاني اليهودي لا يختلف عن الجيب الاستيطاني في جنوب أفريقيا •مسار التاريخ في الرؤية اليهودية مقرر مسبقا ويتكرر حتما • لقد تراجعت الشعارات اليهودية للتاريخ بعد اصطدامها بالواقع • كان هذا التراجع بسبب تصاعد المقاومة الفلسطينية.

الحلولية هي أن يحل الإله في كل مخلوقاته أو في أحدها ويتماهى معها ليصبحا جوهرًا واحدًا. والرؤية اليهودية للتاريخ – في تصوري– رؤية حلولية، بمعنى أن بعض الحاخامات كانوا يتصورون أن الإله قد حل في الشعب اليهودي فأصبح شعبًا مختارًا، كل أفعاله، خيّرة كانت أم شريرة، أفعال مقدسة، وتاريخه أصبح تاريخًا مقدسًا. وقد ورث الصهاينة هذه الرؤية الحلولية والتي تتبدى في عدة أمور:

١– الخلط بين التاريخ الزمني والتاريخ المقدس.

"التاريخ" الذي ورد في القرآن أو القصص التي وردت فيه ليس تاريخًا زمنيًا، وإنما تاريخًا يهدف إلى هداية الناس. ومن هنا، فإن قصص الأنبياء – كما يبيّن الدكتور علي عبد الواحد وافي – ليست كاملة، وإنما تم اختيار أحداث معينة منه ذات دلالة، حتى يتضح الدرس الأخلاقي وحتى تظهر الموعظة.

ومن هنا، لا يمكن الحديث عن تاريخ إسلامي، وإنما تواريخ المسلمين. والتاريخ الزمني هو مجال الفوضى، ومجال النهوض والسقوط، أما التاريخ المقدَّس فهو تاريخ مثالي، يُكافأ فيه المصيبُ، ويُجازَى المخطئ. ومهمة التاريخ المقدس هي تزويد الإنسان بمعايير يحاكم بها التاريخ الزمني.

على العكس من هذا يرى بعض الصهاينة أن الإله قد حلّ في التاريخ، ومن ثَمَّ يختلط التاريخ البشري الزمني (مجالُ الهداية والضلال) بالتاريخ المقدَّس (الذي تتجلّى من خلاله، في كل كبيرة منه وصغيرة، إرادةُ الله). ولذا نجد أن الصهاينة يذهبون إلى أن القصص الذي ورد في العهد القديم (تاريخ الملوك والأسباط) هو تاريخ مقدس وزمني في ذات الوقت. ولذا نجد أن القصص التوراتي يرد كاملاً بكل وقائعه، فوقائع تاريخ الملوك العبرانيين – على سبيل المثال– ترد كاملة منذ اعتلاء الملك العرش حتى وفاته. فالهدف ليس الموعظة ولا تزويد المؤمن بالمعايير الأخلاقية، وإنما الهدف هو رصد كل الوقائع، فهي موضع الحلول، وهامة في حد ذاتها، كما أنها تتجاوز الخير والشر، ولذا لا يمكن الحكم عليها بأية معايير أخلاقية .

٢–يتحدث الصهاينة عن المسألة اليهودية كما لو كانت أمرًا فريدًا، وعن الدولة اليهودية كما لو كانت ليس كمثلها شيء، والهولوكوست باعتباره أمرًا فريدًا حدث لليهود وحدهم. وحتى

يصلوا إلى هذه النتيجة يقومون بعزل هذه الوقائع التاريخية عن سياقها وإطارها، بحيث تصبح ظواهر غير تاريخية يمكن للصهاينة أن يفرضوا عليها أي معنى يشاؤون، ثم يوظفونها بالطريقة المناسبة لهم والتي تخدم مصالحهم ورؤيتهم الأيديولوجية.

هذه الظاهرة أسميها الأيقنة، أي أن تتحول الواقعة التاريخية إلى ما يشبه الأيقونة، يتعبد الإنسان أمامها لأنها أصبحت موضع الحلول، أي أن الإله حلّ فيها فتألهت.

وحتى نفهم هذه الوقائع حق الفهم، في تركيبيتها وزمنيتها وتعينها، لابد من استرجاع البعد التاريخي والإنساني، إن فعلنا ذلك سيتضح لنا أن المسألة اليهودية لم تكن مسألة عالمية وإنما كانت مسألة يهود شرق أوروبا، وخاصة في روسيا، ولم تكن مسألة مقصورة عليهم وإنما كانت جزءًا من مشكلة كل الأقليات في روسيا القيصرية التي كان يصفها لينين بأنها"سجن الأمم".

أما الدولة اليهودية فلو قارناها بالجيوب الاستيطانية الأخرى لوجدنا أنها جيب استيطاني إحلالي لا يختلف في توجهه وسماته العامة عن الجيب الاستيطاني في جنوب أفريقيا. أما الهولوكوست فلابد من وضعها في سياق إنساني وزمني أوسع، وداخل نمط متكرر، وهي عمليات الإبادة التي قامت بها الحضارة الغربية الحديثة ابتداء بإبادة السكان الأصليين في الأمريكتين، وانتهاء بعمليات الإبادة في فيتنام والشيشان والجزائر.

وبذلك تكتسب الهولوكوست بعدًا إنسانيًا تاريخيًا. ولعل السمة المميزة الوحيدة للهولوكوست والتى تفصلها عن وقائع الإبادة الأخرى أنها حدثت داخل أوروبا وضد المواطنين البيض، على عكس كل عمليات الإبادة الأخرى. النمط هنا لا يعني أنه كان من الحتمي أن تنشأ مسألة يهودية في روسيا القيصرية أو أن تغرس الدولة الصهيونية غرسًا في وسط العالم العربي على أرض فلسطين، كما لا يعني أن الإبادة النازية ليهود ألمانيا مسألة حتمية لا مفر منها.

رصد النمط وبلورته هو آلية لمحاولة فهم التاريخ لا كأحداث متفرقة وإنما كأحداث مختلفة تنتمي لنفس النمط. ولكي نصل إلى النمط المتواتر علينا أن نضع الأحداث التي تشبه بعضها البعض في إطار ونسميه ونصنفه ونطلق عليه اسمًا، ونستخلص منه بعض التعميمات التي تساعدنا على فهم بعض أحداث التاريخ، وما يدور حولنا، وربما على التنبؤ ببعض جوانب المستقبل.

٣-تتبدى الحلولية بشكل مثير فيما أسميه ظاهرة "الاستمرار اليهودي"، فإذا كان تاريخ الشعب اليهودي هو موضع الحلول لأن الإله قد حل فيه ويوجهه ويحوطه بعنايته (فالشعب اليهودي هو الشعب المختار)، فإن مسار هذا التاريخ معروف ومقرر مسبقًا ويتبع نمطًا واحدًا، وسينتهي نهاية سعيدة، مهما كانت الصعاب

والمشقات التي يلاقيها الشعب المختار.

وهذا النمط ثلاثي الإيقاع: شعب مختار مستقر في وطنه- قوة ظالمة تنفيه من وطنه- عودة إلى وطنه لبناء الهيكل.

هذا النمط حتمي متكرر يأخذ شكلا هندسيًا متسقًا مع نفسه، منغلقًا على ذاته، مكتفيًا بها، لا علاقة له بالواقع التاريخي المتعين الحي، ويصل إلى درجة عالية من الاتساق العضوي مع نفسه، ولذا فهو يشبه الأساطير القديمة ولا يختلف عن الرؤية اليونانية القديمة للتاريخ باعتباره تاريخًا دائريًا يأخذ شكل حلقات متكررة، والتي أعجب بها نيتشه، ربما بسبب عبثيتها، ولذا كان يتحدث هو الآخر عن فكرة العود الأبدي .eternal return إن كل الحلقات التاريخية بكل تفاصيلها بعد أن تصل إلى نهايتها ستتكرر مرة أخرى بحذافيرها .

في هذا الإطار، وانطلاقاً من فكرة الاستمرار التاريخي يرى الصهاينة أن العبرانيين القدامى دخلوا كنعان واستقروا في أرض الميعاد، وتبع ذلك حكم القضاة والملوك وهذا هو الكومنولث اليهودي الأول أو الهيكل الأول. ثم جاءت الجيوش الآشورية ثم البابلية وتم نفي اليهود من وطنهم فيما يسمى السبي الأشوري والسبي البابلي، ثم عاد اليهود من بابل بأمر قورش إمبراطور فارس، وتم تأسيس الكومنولث اليهودي الثاني أو الهيكل الثاني. وبدأ الغزاة السلوقيون في مناوشة اليهود في وطنهم القومي (أي

فلسطين) فقامت الثورة الحشمونية، وانتهى الأمر بأن جاءت الجيوش الرومانية بقيادة تيتوس فهدم الهيكل الثاني ونفى اليهود. ولكن رغم هذا النفي، ظل الشعب اليهودي قابعًا داخل تاريخه المقدس الذي حل فيه الإله، ولم تكتمل الحلقة ثلاثية الإيقاع (وطن- نفي- عودة) إلا عام ١٩٤٨ بعودة اليهود مرة أخرى إلى فلسطين. وبالتالي، فالاستيطان الصهيوني تعبير عن نمط متكرر ومستمر ومتوقع .

ويحاول بن جوريون تبرير عسكرة المجتمع الإسرائيلي باللجوء إلى أسطورة الاستمرار، فيقول: « إن جنود موسى ويوشع وداود لم يكفُّوا عن القتال... وكذلك جنود صهيون (أي دولة إسرائيل) لن يتوقفوا عن القتال ». بل إن الصراع العربي الإسرائيلي بأسره ينظر إليه على أنه استمرار لصراع العبرانيين مع الفراعنة والآشوريين والبابليين والفينيقيينن.

٤-تتبدى الرؤية الصهيونية الحلولية للتاريخ فيما أسميه القياس التاريخي الزائف الذي يفترض أن الظواهر المحيطة بيهود اليوم تشبه في كثير من الوجوه الظواهر التي واجهها اليهود في ماضيهم السحيق وتنتمي لنفس النمط. فنجد، مثلاً، أن حاييم وايزمان يطالب العرب في خطابه أمام المؤتمر الصهيوني العشرين (١٩٣٧) بالتفاوض مع اليهود مذكرًا إياهم بأنه، في الفترات العظيمة من التاريخ العربي، تعاون الشعبان معًا في بغداد وقرطبة

على حفظ كنوز الثقافة العربية. فالعرب في نظره ما زالوا كما كانوا، واليهود أيضًا لم يتغيروا، أما الظروف التاريخية المتغيرة فهي أمر ثانوي يحسن التغاضي عنه كلية.

٥- تشكل الرؤية الصهيونية الحلولية للتاريخ خريطة الصهاينة الإدراكية. فهم لا يمكنهم رؤية حقوق الآخرين، إذ كيف يمكن لشعب مقدس بل ومتألّه أن يدرك هذه الحقوق. وهم يرون أن احتلالهم فلسطين ليس اغتصابًا وقيامهم بذبح الفلسطينيين هو مجرد دفاع عن النفس، وعن الحقوق اليهودية المطلقة لشعب مقدس يعود إلى أرضه المقدسة. وهكذا يختفي عنف الصهاينة ودمويتهم وراء ستار القداسة والحلول الإلهي.

وقد تنبه الحاخامات القدامى لخطورة الرؤية الحلولية، فهي تصعد أوهام أعضاء الجماعات اليهودية وتؤدى إلى التفجرات المشيحانية، نسبة إلى الماشيح (المسيح المخلص اليهودي) الذي سيأتي في آخر الأيام ويقود شعبه ويعود بهم إلى صهيون. فأكد الحاخامات أن عوده الماشيح (أي المسيح المنتظر اليهودي) والعصر الماشيحاني لن يأتي إلا في آخر الأيام (أي خارج التاريخ)، وأنه لن يحدث إلا بأمر الإله، ولذلك حرموا العودة إلى فلسطين، وطلبوا من اليهود الانتظار في صبر وأناه (داخل التاريخ) إلى أن يشاء الإله ويرسل بالماشيح فينهي التاريخ الزمني ويعود التاريخ المقدس. ومن يخالف الإرادة الإلهية ويعود بإرادته فإنه بذلك يكون قد ارتكب

خطيئة الداحيكات هاكتس، أي التعجيل بالنهاية، دون الانتظار لإرادة الإله. ولكن جاء الصهاينة فالغوا المسافة بين التاريخي والزمني، وأصبحوا هم موضع الحلول، أي أن إرادتهم تجبّ إرادة الإله، وأعلنوا أنه لابد من العودة دون الانتظار لمشيئته.

ويلاحظ أن المؤرخين الجدد وعلماء الاجتماع النقديين في إسرائيل بدأوا ينضّجون الوعي التاريخي في الكيان الصهيوني. فالممارسة الصهيونية جعلتهم يكتشفون أن فلسطين ليست أرضًا عذراء، وأن الشعب الفلسطيني ليس غائبًا، ولا بد من التعامل معه، ولذا فشعارات صهيونية معادية للتاريخ مثل "أرض بلا شعب" أو "من النيل إلى الفرات" تراجعت، والآن يتحدث الصهاينة أنفسهم عن تحديد الحدود. فكرة الحدود نفسها فكرة تاريخية أما "صهيون" التي تشكل حجر الزاوية في الرؤية الصهيونية فهي فكرة معادية للتاريخ.

وقد بدأ كثير من الإسرائيليين ينظرون للدولة الصهيونية باعتبارها دولة تستند إلى حقائق سياسية وليس إلى حقوق مطلقة أو إلى الوعد الإلهي.

كتب زئيف هرتزوج، أحد المؤرخين الإسرائيليين، دراسة بيّن فيها أن الأساطير التوراتية ليس لها أي سند تاريخي. وحين سُئل: إذا كانت الأساطير التوراتية ليس لها أي سند تاريخي، فلماذا أنتم (أي الإسرائيليون) هنا؟! فكان الرد: نحن هنا لأننا هنا (أي

أمر واقع)، وهو رد مهذب، فهو لم يتحدث عن السلاح الإسرائيلي أو البطش الإسرائيلي، ولكنه مع هذا أكد أن إسرائيل حقيقة سياسية تاريخية، لا تتمتع بأي قداسة، وهذا يشكل في تصوري خطوة إلى الأمام.

واصطبغت الصهيونية في الآونة الأخيرة بصبغة دينية فاقعة، وجعلت التوسع الصهيوني مصدر شرعيتها، والأرضية التي تستند إليها، ولكن تحت ضغط الواقع وبسبب المقاومة الفلسطينية التي لا تتوقف نجد أن ثمة محاولة لفصل التاريخ المقدس عن التاريخ الزمني حتى في الأوساط الدينية.

فللمرة الأولى في تاريخ الصهيونية يعتزم الممثلون الرسميون لدولة إسرائيل التنازل رسميًا عن سيادة الدولة اليهودية على جزء من أرض إسرائيل (التوراتية) أراض هي –في تصورهم– موضع الحلول الإلهي. ولذا يذهب بعض الصهاينة المتدينيين إلى أن تنازل دولة إسرائيل عن السيطرة على "القلب التاريخي" لأرض إسرائيل يقوّض الأرضية التي يستند إليها الشرعية الصهيونية، ويسقط عن دولة إسرائيل صفتها كتعبير عن الاستمرارية التاريخية لليهودية . والله أعلم.

من فكر الدكتور المسيري بمناسبة رحيله

تآكل المقدرة القتالية لـ"العجل الذهبي"

• القوة العسكرية تشكل العمود الفقري للمشروع الصهيوني • جاءت ثورة الحجارة لتبين مدى عمر الجيش الصهيوني • دولة إسرائيل تعيش في زمن مستعار وإن مؤسستها العسكرية تسير نحو الضياع • استمرار الانتفاضة سيؤدي إلى فقدان الجيش الإسرائيلي للمقدرة القتالية

يستند الوجود الصهيوني إلى العنف إذ انه يهدف إلى التخلص من أصحاب الأرض وإحلال آخرين محلهم ، وهي عملية لا يمكن أن تتم بالوسائل السلمية لأسباب إنسانية معروفة.

والكيان الصهيوني غُرس غرسًا في فلسطين ليلعب دورًا قتاليًا ضد المنطقة العربية. وعلى مستوى من المستويات يمكن القول إن المشروع الصهيوني كان يهدف إلى نقل الفائض البشرى اليهودي من أوروبا إلى فلسطين وتحويله إلى "مادة قتالية" تخدم المصالح الغربية.

ولكل هذا تكتسب كل الظواهر الصهيونية ابتداء من الزراعة وانتهاء بالتلفزيون بعدًا عسكريًا. ولذا فالقوة العسكرية الصهيونية تشكل العمود الفقري للمشروع الصهيوني، فهو

يكتسب شرعيته وشرعية وجوده منها. وكما قال ييجال آلون، نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي، في مؤتمر القدس لأصحاب الملايين اليهود يوم ٢٩ يونيه ١٩٦٩:

"لا يتحقق الأمن الإسرائيلي عن طريق المناطق المنزوعة السلاح، ولا بالبوليس الدولي، ولا بضمانات الدول أو الهيئات الدولية، وإنما بالأرض".

ثم يُعرّف هذه الأرض بأنها القنوات (أي قناة السويس) والممرات والأنهار (أي نهر الأردن) والمرتفعات (أي الجولان). ثم يلخص الموقف كله بقوله:

"إن الأمن يتحقق بالاستيطان بالمسلح".

وقد أحرز الاستيطان المسلح في فلسطين قدرًا لا باس به من النجاح، وبالتالي حصل على قدر من الشرعية أمام يهود العالم وجماهير المستوطنين والعالم الغربي.

ولكن ابتداء من حرب عام ١٩٧٣ بدأ إيمان المستوطنين الصهاينة بالعجل الذهبي – أي الجيش الإسرائيلي– في الاهتزاز ثم في التآكل. ثم جاءت عملية غزو لبنان التي انتهت بانسحاب القوات الإسرائيلية دون أن تحقق ما كانت تهدف إليه، أي "القضاء بشكل نهائي على منظمة التحرير".

ولم تتوقف العمليات الفدائية البتة وكان من أهمها وتاجها عملية قبية التي بينت بشكل لا يدع مجالا للشك أن الذراع

القوية لجيش الدفاع (!) ليست قادرة بالضرورة على حماية المستوطنين الصهاينة، وتوفير الأمن المطلق لهم.

ثم جاءت ثورة الحجارة لتبين مدى عجز جيش الدفاع عن القيام بالعمليات الجراحية والضربات الإجهاضية التي تُسكِت الآلام مرة واحدة.

وتبعتها انتفاضة الأقصى المسلحة ثم الانسحاب من جنوب لبنان، ثم أخيراً الحرب السادسة، التي فضحت جيش الدفاع الذي ادعى أنه لا يُقهر أمام نفسه وأمام المستوطنين الصهاينة، بل وأمام راعيه الإمبريالي، أي الولايات المتحدة.

ويمكن القول إن استمرار الاحتلال في الضفة الغربية وغزة ما يزيد عن أربعين عامًا كان من الصعب الدفاع عنه ، باعتباره دفاعًا عن النفس . ولذا شهدت القوات العسكرية الإسرائيلية لأول مرة في تاريخها ظواهر احتجاجية مختلفة ، جديدة عليها كل الجدة مثل رفض الخدمة العسكرية تمامًا، أو رفض الخدمة في الضفة الغربية وغزة، أو زيادة نزوح أبناء الكيبوتسات، العمود الفقري للمؤسسة العسكرية واحتياطيها الحقيقي ، بل زيادة نزوح أفراد من القوات المسلحة ذاتها.

وقد أخبرني اللواء حسن البدري –رحمه الله– مؤرخ الجيش المصري، أن الجيش الذي يقوم بقمع عصيان مدني يفقد مقدرته القتالية. ثم أضاف ضاحكاً: ما يحدث هو أن الجندي ينسى كيف

يستخدم بندقيته، وإن استخدمها فهو يستخدمها بالمقلوب.

ولا يختلف رأي اللواء حسن البدري عن أوري ساجوري (رئيس القوات البرية) حسبما جاء في الجيروساليم بوست (ملحق ٣٠ يناير١٩٨٨) الذي قال إن استمرار الانتفاضة سيؤدي إلى تزايد فقدان جيش الدفاع للمقدرة القتالية. كما أن الانتفاضة أدت إلى توقف أو تعطيل برامج التدريب، وقد اشتكى احد الضباط الإسرائيليين من أنه لا يقوم بأداء ما دُرِّب عليه ، ولا يقوم بتدريب الجنود ليقوموا بما ينبغي عليهم القيام به (تايم ١٥ فبراير ١٩٨٨).

وأعلن رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي (عل همشمار ٣ يناير ١٩٨٨، في مقال لآربية بالجي "جنوب أفريقيا وصلت هنا بالفعل "): أن الجيش سيبدأ برنامجا لإعادة تدريب الجنود على طرق حفظ الأمن في المناطق ، ويقول كاتب المقال إن هذا يعني تحول إسرائيل إلي جنوب أفريقيا.

والاستنتاج الأخير يهمنا كثيرًا، فمن وجهة نظرنا لا يوجد فارق نوعي بين الجيبين الاستيطانيين، ولكن ما يهمنا هو أن الجيش الإسرائيلي سيفقد قدرًا كبيرًا من مقدرته القتالية بسبب قيامه بالعمليات الأمنية، وهذا أمر معروف لدي المفكرين العسكريين.

وقد عبر الأستاذ اسحق غالنور، وهو أستاذ في العلوم السياسية بالجامعة العبرية وضابط احتياطي برتبة رائد في الجيش

الإسرائيلي، على ما هو متوقع بقوله:

"سيخرج الجنود الإسرائيليون من الأراضي المحتلة وقد نسوا كيفية استخدام البندقية وماسورتها إلى الأمام، بعد أن تعودوا على استخدامها بشكل معكوس في الضرب، وهي نفس ملحوظة اللواء البدري (وول ستريت جورنال عن القبس ٢٢ ابريل ١٩٨٨). وقد لاحظ دان راكين (في مقال بعنوان الجنود يلقون الحجارة وزجاجات الكولا " معاريف ٢٥ فبراير ١٩٨٨) أنه عندما تزداد كثافة الحجارة يستخدم الجنود نفس سلاح العرب: "يقومون برشق السكان بالحجارة والزجاجات الفارغة."

وقد لخص العقيد عمانوئيل فالد حالة المادة القتالية الصهيونية بعد الانتفاضة الأولى في تقرير له عن الجيش الإسرائيلي قدمه لمكتب وزير الدفاع، ولكنه قوبل بفتور بدعوى أن المقترحات التي يقدمها ليست عملية، وبعد أن وقع عقداً مع مركز الأبحاث الاستراتيجية في إسرائيل لإعداد البحث أُلغِي العقد، ولكنه نشر رأيه في نهاية الأمر في كتابه لعنة الأواني المكسورة – تقرير فالد. يقول فالد:

"إنه ليس أمام إسرائيل من احتمال عسكري في المستقبل إذا استمر الجيش الإسرائيلي يسير في الطريق التي يسير فيها حالياً . ويؤكد أن دولة إسرائيل تعيش في "زمن مستعار" وان مؤسستها العسكرية "تسير نحو الضياع" ، وينتقل فالد من التعميم إلي التخصيص فيقول: "أن قادة الجيش يعانون من نقص واضح

وظاهر في الاهتمام والفهم والتقنية في الحرب بصفة عامة وفي الاستراتيجية بصفة خاصة ، ويسود بينهم عداء لأي مبادرة في المجال الفكري. وهم يفتقرون إلي التفكير الاستراتيجي السياسي. فهذا جيل من أنصار حكومة التكنوقراط ، الذي تحول إلي أداة طيّعة في يد المؤسسة العسكرية."

ثم يشير فالد إلى بعض الظواهر السلبية التي نشأت في السنوات الأخيرة في الجيش الإسرائيلي. مثل "نمو القيادات واتساعها على حساب القوة المقاتلة. فالذي يحظى بأفضلية كبيرة في الجيش الإسرائيلي فعلا، هو القيادات والخدمات والإدارات المختلفة، وليس المقاتلين، وذلك على حساب السلك المقاتل، الذي انخفضت نسبته في حجم القوات.

وهذا اتجاه عام ومتوقع في كل القوات المسلحة الغربية مع تزايد معدلات العلمنة والاستهلاكية التي تتطلب توفير معدلات عالية من الراحة للمقاتل، خاصة أنه عادة ما يخوض حروبًا غير أخلاقية، الأمر الذي يؤدي إلى تزايد قطاع الخدمات داخل القوات المسلحة. وقد اتضحت هذه الظاهرة بشكل درامي أثناء الحملة الأمريكية على لبنان والتي تزامنت مع الحملة الأمريكية على جرانادا. وكلا الحملتين كانتا صغيرتين للغاية، ومع هذا اشتكت القيادة العسكرية الأمريكية من أن مصادرها الضخمة مرهقة، لأن كل جندي مقاتل يحتاج لكمّ هائل من العسكرية الأمريكية .

من فكر الدكتور المسيري بمناسبة رحيله

نهاية إسرائيل

• موضوع نهاية إسرائيل متجذّر في الوجدان الصهيوني • مع انتفاضة الأقصى تحدثت الصحف الإسرائيلية مراراً عن نهاية إسرائيل• هاجس نهاية إسرائيل يطارد الإسرائيليين لأسباب مستقاة من تاريخ المحتلين • عاد هاجس النهاية مرة أخرى بعد الحرب السادسة وبعد إبداع المقاومة اللبنانية.

في ١٧ أغسطس ٢٠٠٦، أي أثناء الحرب العربية الإسرائيلية السادسة، وبينما كانت الطائرات الإسرائيلية تدك المدن والقرى والبنية التحتية اللبنانية وتُسيل دم المدنيين، نشرت صحيفة معاريف مقالاً كتبه الصحفي يونتان شيم بعنوان "أسست تل أبيب في عام ١٩٠٩ وفى عام ٢٠٠٩ ستصبح أنقاضاً ". جاء في المقال "أنه قبل مائة عام أقاموا أولى المدن العبرية، وبعد مائة عام من العزلة قضى أمرها". ما الذي يدعو مثل هذا الكاتب للحديث عن النهاية، نهاية إسرائيل، في وقت بلغت فيه القوة العسكرية الإسرائيلية ذروتها، وتجاوز الدعم الأمريكي، السياسي والمالي والعسكري، لها كل الحدود والخطوط الحمراء؟ كيف يمكن تفسير هذا الموقف؟

ابتداء لابد وأن نذكر حقيقة تاهت عن الكثيرين في العالم

العربي وهو أن موضوع نهاية إسرائيل متجذر في الوجدان الصهيوني. فحتى قبل إنشاء الدولة أدرك كثير من الصهاينة أن المشروع الصهيوني مشروع مستحيل وأن الحلم الصهيوني سيتحول إلى كابوس. وبعد إنشاء الدولة، وبعد أن حقق المستوطنون الصهاينة "النصر" على الجيوش العربية تصاعد هاجس النهاية. ففي عام ١٩٥٤ قال موشيه ديان، وزير الدفاع والخارجية الإسرائيلي، في جنازة صديق له قتله الفدائيون الفلسطينيون: "علينا أن نكون مستعدين ومسلحين، أن نكون أقوياء وقساة، حتى لا يسقط السيف من قبضتنا وتنتهي الحياة". النهاية، ماثلة دائما في العقول، فالضحايا الذين طردوا من ديارهم تحولوا هم وأبناؤهم إلى فدائيين يقرعون الأبواب يطالبون بالأرض التي سلبت منهم. ولذا فإن الشاعر الإسرائيلي حاييم جوري يرى أن كل إسرائيلي يُولَد "وفي داخله السكين الذي سيذبحه"، فهذا التراب (أي إسرائيل) لا يرتوي"،فهو يطالب دائماً "بالمزيد من المدافن وصناديق دفن الموتى". في الميلاد يوجد الموت وفى البداية توجد النهاية.

وتتناول قصة "في مواجهة الغابة" التي كتبها الروائي الإسرائيلي أبراهام يهوشوا في النصف الأول من الستينيات الحالة النفسية لطالب إسرائيلي عُيِّن حارساً لغابة غرسها الصندوق القومي اليهودي في موقع قرية عربية أزالها الصهاينة مع ما أزالوه

من قرى ومدن. ورغم أن هذا الحارس ينشد الوحدة، إلا أنه يقابل عربياً عجوزاً أبكم من أهل القرية يقوم هو وابنته برعاية الغابة، وتنشأ علاقة حب وكره بين العربي والإسرائيلي، فالإسرائيلي يخشى انتقام العربي الذي أصيب بعاهته أثناء عملية التنظيف العرقي التي قام بها الصهاينة عام ١٩٤٨. ولكن وعلى الرغم من هذا يجد نفسه منجذباً إلى العجوز العربي بصورة غير عادية، بل يكتشف أنه يحاول، بلا وعي، مساعدته في إشعال النار في الغابة. وفي النهاية، عندما ينجح العربي في أن يضرم النار في الغابة، يتخلص الحارس من كل مشاعره المكبوتة، ويشعر براحة غريبة بعد احتراق الغابة، أي بعد نهاية اسرائيل!

وفى اجتماع مغلق في مركز الدراسات السياسة والإستراتيجية في الأهرام أخبرنا الجنرال الفرنسي أندريه بوفر، الذي قاد القوات الفرنسية في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، بواقعة غريبة، كان هو شاهدها الوحيد. فقد ذهب لزيارة إسحق رابين في منتصف يونية ١٩٦٧ أي بعد انتهاء الحرب بعدة أيام، وبينما كانا يحلقان في سماء سيناء والقوات الإسرائيلية المنتصرة في طريق عودتها إلى إسرائيل بعد أن أنجزت مهمتها، قام الجنرال بوفر بتهنئة رابين على نصره العسكري، ففوجئ به يقول: "ولكن ماذا سيتبقى من كل هذا؟.all ”what will remain of it?“ " في الذروة أدرك الجنرال المنتصر حتمية الهوه والنهاية.

إن موضوع النهاية لا يحب أحد في إسرائيل مناقشته، ولكنه مع هذا يُطل برأسه في الأزمات. ففي أثناء انتفاضة ١٩٨٧، حين بدأ الإجماع الصهيوني بخصوص الاستيطان يتساقط، حذر إسرائيل هاريل المتحدث باسم المستوطنين من أنه إذا حدث أي شكل من أشكال الانسحاب والتنازل (أي الانسحاب من طرف واحد). فإن هذا لن يتوقف عند الخط الأخضر (حدود ١٩٤٨) إذ سيكون هناك انسحاب روحى يمكن أن يتهدد وجود الدولة ذاتها (الجيروساليم بوست ٣٠يناير١٩٨٨). وأخبر رئيس مجلس السامرة الإقليمي شارون (في مشادة كلامية معه) "إن هذا الطريق الدبلوماسي هو نهاية المستوطنات، إنه نهاية إسرائيل" (هآرتس١٧يناير٢٠٠٢). ويردد المستوطنون أن الانسحاب من نابلس يعنى الانسحاب من تل أبيب.

ومع انتفاضة الأقصى تحدثت الصحف الإسرائيلية عدة مرات عن موضوع نهاية إسرائيل. فقد نشرت جريدة يديعوت أحرونوت (٢٧ يناير ٢٠٠٢) مقالا بعنوان "يشترون شققاً في الخارج تحسباً لليوم الأسود"، اليوم الذي لا يحب الإسرائيليون أن يفكروا فيه، أي نهاية إسرائيل!. والموضوع نفسه يظهر في مقال ياعيل باز ميلماد (معاريف ٢٧ديسمبر ٢٠٠١) الذي يبدأ بالعبارة التالية: "أحاول دائماً أن أبعد عنى هذه الفكرة المزعجة، ولكنها تطل في كل مرة وتظهر من جديد: هل يمكن أن تكون نهاية الدولة كنهاية

الحركة الكيبوتسية؟ ثمة أوجه شبه كثيرة بين المجريات التي مرت على الكيبوتسات قبل أن تحتضر أو تموت، وبين ما يجرى في الآونة الأخيرة مع الدولة". وقد لخص جدعون عيست الموقف في عبارة درامية "ثمة ما يمكن البكاء عليه: اسرائيل"(يديعوت أحرونوت ٢٩ يناير٢٠٠٢).

بل إن مجلة نيوزويك (٢إبريل٢٠٠٢) صدرت وقد حمل غلافها صورة نجمة إسرائيل، وفى داخلها السؤال التالي: "مستقبل إسرائيل: كيف سيتسنى لها البقاء؟". وقد زادت المجلة الأمور إيضاحاً حين قالت: "هل ستبقى الدولة اليهودية على قيد الحياة؟ وبأي ثمن؟ وبأية هوية؟". ولكن ما يهمنا في هذا السياق ما قاله الكاتب الإسرائيلي عاموس إيلون: الذى أكد أنه في حالة يأس لأنه يخشى أن يكون الأمر قد فات". ثم أضاف "لقد قلت لكم مجرد نصف ما أخشاه" (النصف الثاني أن الوقت قد فات بالفعل). ويتكرر الحديث عن نهاية إسرائيل في مقال إيتان هابر بعنوان "ليلة سعيدة أيها اليأس.. والكآبة تكتنف إسرائيل" (يديعوت أحرونوت ١١نوفمبر ٢٠٠١). يشير الكاتب إلى أن الجيش الأمريكى كان مسلحاً بأحدث المعدات العسكرية، ومع هذا يتذكر الجميع صورة المروحيات الأمريكية تحوم فوق مقر السفارة في سايجون، محاولة إنقاذ الأمريكيين وعملائهم المحليين في ظل حالة من الهلع والخوف حتى الموت. إن الطائرة المروحية هي رمز الهزيمة

والاستسلام والهروب الجبان في الوقت المناسب. ثم يستمر الكاتب نفسه في تفصيل الموقف: "إن جيش الحفاة في فيتنام الشمالية قد هزم المسلحين بأحدث الوسائل القتالية. ويكمن السر في أن الروح هي التي دفعت المقاتلين وقادتهم إلى الانتصار. الروح تعني المعنويات والتصميم والوعي بعدالة النهج والإحساس بعدم وجود خيار آخر. وهو ما تفتقده إسرائيل التي يكتنفها اليأس."

أما أبراهام بورج فيقول في مقال له (يديعوت أحرونوت، ٢٩ أغسطس ٢٠٠٣) إن "نهاية المشروع الصهيوني على عتبات أبوابنا. وهناك فرصة حقيقية لأن يكون جيلنا آخر جيل صهيوني. قد تظل هناك دولة يهودية، ولكنها ستكون شيئا مختلفاً، غريبة وقبيحة... فدولة تفتقد للعدالة لا يمكن أن يُكتب لها البقاء... إن بنية الصهيونية التحتية آخذة في التداعي... تماماً مثل دار مناسبات رخيصة في القدس، حيث يستمر بعض المجانين في الرقص في الطابق العلوي بينما تتهاوى الأعمدة في الطابق الأرضي". ثم، أطل الموضوع برأسه مجدداً في مقال ليرون لندن (يديعوت أحرونوت ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٣) بعنوان: "عقارب الساعة تقترب من الصفر لدولة إسرائيل"، وجاء فيه "في مؤتمر المناعة الاجتماعية الذي عُقد هذا الأسبوع، عُلم أن معدلاً كبيراً جداً من الإسرائيليين يشكون فيما إذا كانت الدولة ستبقى بعد ٣٠ سنة. وهذه المعطيات المقلقة تدل على أن عقارب الساعة تقترب من

الساعة ١٢، (أي لحظة النهاية) وهذا هو السبب في كثرة الخطط السياسية التي تولد خارج الرحم العاقر للسلطة". وحينما أصدرت محكمة العدل الدولية حكمها بخصوص الجدار العازل وعدم شرعيته بدأ الحديث على الفور عن أن هذه هي بداية النهاية.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا هاجس النهاية الذي يطارد الإسرائيليين؟ سنجد أن الأسباب كثيرة، ولكن أهمها إدراك المستوطنين الصهاينة أن ثمة قانونًا يسري على كل الجيوب الاستيطانية، وهو أن الجيوب التي أبادت السكان الأصليين (مثل أمريكا الشمالية واستراليا) كُتب لها البقاء، أما تلك التي أخفقت في إبادة السكان الأصليين (مثل ممالك الفرنجة التي يقال لها الصليبية والجزائر وجنوب أفريقيا) فكان مصيرها الزوال. ويدرك المستوطنون الصهاينة جيدًا أن جيبهم الاستيطاني ينتمي لهذا النمط الثاني وأنه لا يشكل أي استثناء لهذا القانون. إن الصهاينة يدركون أنهم يعيشون في نفس الأرض التي أقيمت فيها ممالك الفرنجة وتحيط بهم خرائب قلاع الفرنجة. التي تذكرهم بهذه التجربة الاستيطانية التي أخفقت وزالت. ومما يعمق من هاجس النهاية أن الوجدان الغربي والصهيوني يوحد من البداية بين المشروع الصليبي والمشروع الصهيوني ويقرن بينهما، فلويد جورج رئيس الوزارة البريطانية التي أصدرت وعد بلفور، صرح أن الجنرال اللنبي الذي قاد القوات الإنجليزية التي

احتلت فلسطين شن وربح آخر الحملات الصليبية وأعظمها انتصاراً. ويمكننا أن نقول إن المشروع الصهيوني هو نفسه المشروع الفرنجي بعد أن تمت علمنته، وبعد أن تم إحلال المادة البشرية اليهودية التي تم تحديثها وتطبيعها وتغريبها وعلمنتها محل المادة البشرية المسيحية.

لكل هذا يدرس العلماء الإسرائيليون المقومات البشرية والاقتصادية والعسكرية للكيان الفرنجي، والعلاقة بين هذا الكيان والوطن الأصلي المساند له. وقد وجَّه كثير من الباحثين الصهاينة اهتمامهم لدراسة مشكلات الاستيطان والهجرة التي واجهها الكيان الفرنجى ومحاولة فهم عوامل الإخفاق والفشل التي أودت به.

ولكن الاهتمام لا يقتصر على الدوائر الأكاديمية، فنجد أن شخصيات سياسية عامة مثل إسحق رابين وموشيه ديان يهتمون بمشاكل الاستيطان والهجرة. ففي سبتمبر ١٩٧٠، عقد إسحق رابين مقارنة بين ممالك الفرنجة والدولة الصهيونية حيث توصَّل إلى أن الخطر الأساسي الذي يهدد إسرائيل هو تجميد الهجرة، وأن هذا هو الذي سيؤدي إلى اضمحلال الدولة بسبب عدم سريان دم جديد فيها.

ويورى أفنيرى، الكاتب الصحفي الإسرائيلي، وعضو الكنيست السابق، كان من المستوطنين الصهاينة الذين أدركوا منذ البداية استحالة تحقيق المشروع أو الحلم الصهيوني. ولذا كان ينشر منذ

الخمسينات مجلة هاعولام هزه (هذا العالم) والتي تخصصت في توجيه النقد للسياسات الصهيونية. وكان أفنيرى يحذر الصهاينة من مصير ممالك الفرنجة التي لم يبق منها سوى بعض الخرائب. وقد صدر له كتاب بعنوان إسرائيل بدون صهيونية (١٩٦٨) عقد فيه مقارنة مستفيضة بين ممالك الفرنجة والدولة الصهيونية، فإسرائيل مثل ممالك الفرنجة مُحاصَرة عسكريًا لأنها تجاهلت الوجود الفلسطيني ورفضت الاعتراف بأن أرض الميعاد يقطنها العرب منذ مئات السنين. ثم عاد أفنيري إلى الموضوع، عام ١٩٨٣، بعد الغزو الصهيوني للبنان، في مقال نشر في هاعولام هزه بعنوان "ماذا ستكون النهاية"، فأشار إلى أن ممالك الفرنجة احتلت رقعة من الأرض أوسع من تلك التي احتلتها الدولة الصهيونية، وأن الفرنجة كانوا قادرين على كل شيء إلا العيش في سلام، لأن الحلول الوسط والتعايش السلمي كانا غريبين على التكوين الأساسي للحركة. وحينما كان جيل جديد يطالب بالسلام كانت مجهوداتهم تضيع سدى مع قدوم تيارات جديدة من المستوطنين، الأمر الذي يعني أن ممالك الفرنجة لم تفقد قط طابعها الاستيطاني. كما أن المؤسسة العسكرية الاقتصادية للفرنجة قامت بدور فعال في القضاء على محاولات السلام، فاستمر التوسع الفرنجي على مدى جيل أو جيلين. ثم بدأ الإرهاق يحل بهم، وزاد التوتر بين المسيحيين الفرنجة من جهة وأبناء الطوائف المسيحية الشرقية من جهة

أخرى، الأمر الذي أضعف مجتمع الفرنجة الاستيطاني، كما ضعف الدعم المالي والسكاني من الغرب. وفي الوقت نفسه، بدأ بعث إسلامي جديد، وبدأت الحركة للإجهاز على ممالك الفرنجة، فأوجد المسلمون طرقًا تجارية بديلة عن تلك التي استولى عليها الفرنجة. وبعد موت الأجيال الأولى من أعضاء النخبة في الممالك، حل محلهم ورثة ضعفاء في وقت ظهرت فيه سلسلة من القادة المسلمين العظماء ابتداءً من صلاح الدين ذي الشخصية الأسطورية حتى الظاهر بيبرس. وظل ميزان القوى يميل لغير صالح الفرنجة، ولذا لم يكن هناك ما يوقف هزيمتهم ونهايتهم ونهاية الممالك الصليبية!

لكل هذا عاد هاجس النهاية مرة أخرى بعد الحرب السادسة وبعد الصمود اللبناني العظيم في وجه الهمجية الإسرائيلية، وبعد إبداع المقاومة اللبنانية. فقد اكتشف الصهاينة حدود القوة ووصلوا إلى مشارف النهاية، وكما قال المثقف الإسرائيلي شلومو رايخ: "إن إسرائيل تركض من نصر إلى نصر حتى تصل إلى نهايتها المحتومة". فالانتصارات العسكرية لم تحقق شيئاً، لأن المقاومة مستمرة مما يؤدى إلى ما سماه المؤرخ الإسرائيلي يعقوب تألمون (نقلاً عن هيجل) "عقم الانتصار." والله أعلم

موضوعات الساعة

فضل الله يدعو الحقوقيين العرب والمسلمين لملاحقة الإرهابيين الأمريكيين

أصدر سماحة العلامة المرجع، السيد محمد حسين فضل الله، بياناً علّق فيه على إصدار "مركز مراقبة الإرهابيين" في وزارة العدل الأمريكية، قائمة أمريكية أدرجت أسماء نحو مليون إرهابي، وجاء في تصريحه:

إن هذه القائمة الأمريكية الجديدة الصادرة عن وزارة العدل الأمريكية وعمّا يسمونه "مركز مراقبة الإرهابيين" والتي أدرجت نحو مليون اسم على لوائحها، افترضت أنهم إرهابيون، تعطي دليلاً إضافياً على أن الإدارة الأمريكية الحالية ليست في وارد تغيير سياستها في الأشهر المتبقية من عمرها، لا على المستوى الأمريكي الداخلي ولا على مستوى التعاطي مع الملفات الخارجية، وخصوصاً تلك التي تتصل بالمنطقة العربية والإسلامية.

إن إدارة الرئيس بوش ماضية في ابتداع الخرافات واختراع الأساطير حول الإرهاب لتخويف الأمريكيين في الداخل وتبرير سياسة البطش والقتل والاعتقال والاحتلال في الخارج، وقد صدرت في أمريكا نفسها العديد من الكتب والمقالات التي تؤكد أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش قد ارتكبت جرائم حرب، وأنها تستخدم لعبة مضاعفة الأسماء المتهمة بالإرهاب والتي تزداد

بمعدل أكثر من ٢٠ ألف اسم كل شهر لأسباب تهويلية ضد الآخرين، ولتبرير انتهاكاتها المستمرة لحقوق الإنسان وتمهيد السبل لفتح ملفات جديدة في الوقت الذي توحي بأنها في صدد إقفال ملفات قديمة.

إننا في الوقت الذي لا نستغرب صمت الكثير من جمعيات حقوق الإنسان في الغرب حيال هذه الانتهاكات، وعدم تعليق الكثير من الدول، وخصوصاً الأوروبية منها، على هذه السياسة الأمريكية التي تعمل لإدراج العالم العربي والإسلامي على لوائحها كمنطقة منبوذة وكبؤرة للإرهاب العالمي، نتساءل عن السبب في انكفاء العرب والمسلمين عن الردّ عملياً على هذه الاتهامات، وعن تقصير الإعلام العربي والإسلامي الموجّه للغربيين لكشف هذه الأكاذيب وفضحها، كما أننا نتساءل عن السبب في انكفاء الحقوقيين العرب والمسلمين عن القيام بدورهم في ملاحقة رموز الإرهاب الأمريكيين من خلال المحاكم الغربية، بحسب طاقاتهم وإمكانياتهم، وبحسب الظروف المتوافرة، ولماذا تبقى شخصية كنائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني بمنأى عن هذه الملاحقات، فضلاً عن بوش نفسه، وإن كانت المسألة في حدود الكشف عن مكامن الإجرام وانتهاكات حقوق الإنسان المتمثلة بهذين المجرمين العالميين.

إنني أدعو إلى قيام هيئة عربية وإسلامية تُعنى بهذه المسألة، وأن

لا يقتصر عملها على الجانب الإحصائي في ذكر جرائم الحرب والانتهاكات الأمريكية والإسرائيلية لحقوق الإنسان، بل في العمل لملاحقة أي ملف قضائي يهم العرب والمسلمين ضمن الإمكانات المتوافرة في بلادنا أو في البلدان الغربية.

التسخيري: "الشيعة فوبيا" الغربية وراء مزاعم التمدد الشيعي

انتقد الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، ما أسماه "الوهميات" التي يرددها الإعلام الغربي عن "خطر المد الشيعي" في العالم العربي وأفريقيا، معتبرًا أن ظاهرة "الشيعة فوبيا" الغربية تقف وراء هذه "المزاعم."

وفي حوار خاص مع شبكة "إسلام أون لاين.نت" قال التسخيري إن هدف هذه "الوهميات" التي يطرحها الإعلام الغربي هو "بذر الفتنة بين المسلمين"، مستدلا بـ"تعالي نغمة التحذير من المد الشيعي بعد انتصار حزب الله الشيعي على إسرائيل في حرب صيف ٢٠٠٦."

واكتسب حزب الله شعبية كبيرة عربيًا وإسلاميًا بعد نجاحه في مواجهة الحرب الإسرائيلية الأخيرة؛ وهو ما أفرز ظاهرة أطلق عليها المراقبون "التشيع السياسي."

على صعيد آخر أيد التسخيري فكرة مؤتمرات حوار الأديان،

والتي كان آخرها مؤتمر مدريد الشهر الماضي، والذي شارك فيه.

وأكد استعداد علماء الشيعة للمشاركة في مؤتمرات للحوار يحضرها حاخامات يهود، شريطة ألا يكونوا "صهاينة مؤيدين لإسرائيل"، واصفًا الصهيونية بأنها "عدو البشرية."

وشدد على ضرورة التفرقة بين حوار الأديان مع أصحاب العقائد المختلفة، وبين الحوار الإسلامي بين أتباع المذاهب المتنوعة، كالسنة والشيعة، داعيًا إلى العمل على المسارين في الفترة المقبلة؛ لإظهار الوجه الإنساني والحضاري للإسلام، والتقليل مما يقوم به "متعصبون حمقى من الإساءة لمقدسات الإسلام."

البحرين تستضيف المؤتمر السنوي العالمي للمصارف الإسلامية

تستضيف البحرين المؤتمر السنوي العالمي الرابع عشر للمصارف الإسلامية خلال الفترة من الثامن إلى العاشر من ديسمبر المقبل بمشاركة ٣٥ دولة.

وذكرت صحيفة " اليوم " السعودية أن المؤتمر سيعمل على توفير خدمات إضافية لرجال الأعمال كقاعة الأعمال التنفيذية التي يستضيفها مكتب البحرين لتطوير الخدمات المالية وقاعة كبار الشخصيات التي يستضيفها بنك مسقط الدولي وذلك بهدف منح المشاركين فرصاً للتواصل مع عملاء رئيسيين ووسائل

الإعلام الدولية على هامش أعمال المؤتمر.

وسُيعقد على هامش المؤتمر أيضاً معرض للمؤسسات المالية المشاركة لإلقاء الضوء على أحدث التطورات في الصناعة المصرفية ويعرض للمنتجات التي تقدمها هذه المؤسسات المصرفية لعملائها من الأفراد والمؤسسات.

وكان الدكتور عزالدين خوجة الأمين العام للمجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية الذي يتخذ من البحرين مقراً له قد أعلن أن حجم أصول المصارف الإسلامية في العالم في نهاية العام الماضي بلغ نحو ٤٠٠ مليار دولار بزيادة قدرها ٢٧ ٪ عن حجم أصولها خلال العام الذي سبقه.

توقيع أول مذكرة تفاهم بين إيران والعراق

في ٢٧ تموز تمّ توقيع أول مذكرة تفاهم للتعاون الثقافي بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وجمهورية العراق ، و قد وقعها عن الجانب الايراني الدكتور مصطفوي مستشار رئيس الجمهورية وعن الجانب العراقي السيد جابر الجابري وكيل وزارة الثقافة بحضور جمع من الشخصيات الثقافية و أساتذة الجامعات في البلدين.

وذكر تقرير لدائرة العلاقات العامة والاعلام في رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية ، أن الدكتور مصطفوي بعد ترحيبه بالوفد

الضيف أعرب عن سروره بنشاطات الوفد العراقي خلال تواجده واقامته في ايران الإسلامية، و تمنى أن يكون توقيع مذكرة التفاهم قد مهد الطريق لاستمرار التعاون بين الجانبين.

وقال رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بعد توقيع مذكرة التفاهم الثقافي ، إننا عقدنا العزم في رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية علي أن نستفيد من جميع قدراتنا في اطار التعاون المطرد بين البلدين والشعبين ، ونحن متأكدون من أن تنفيذ بنود مذكرة التفاهم هذه سيكون فيها منافع ومصلحة للبلدين ، وتجلب السلام و المحبة لكل بلدان المنطقة .

وقال جابر الجابري وكيل وزارة الثقافة العراقي: إنه أمر يبعث على السرور أن أكون والوفد المرافق لي أول فريق عمل يأتي الى إيران لأجل طي صفحة الماضي والقضاء علي كل ما يعكر العلاقات بين البلدين .

وأضاف : نيابة عن آلاف العراقيين أعلن أن الشعب العراقي مشتاق بشدة لأعادة اللحمة وتطويرالعلاقات بين البلدين ، وأن الشعب الإيراني شعب متحضر ومثقف و مبادر لإقامة العلاقات الأكثر قربًا ومحبة.

وأضاف وكيل وزارة الثقافة: ان مذكرة التفاهم هي حصيلة جهود و نشاطات قد بذلت لأجل التقريب بين وجهات النظر ،وأن بنود المذكرة قد كتبت في قلوبنا قبل أن تكتب على الورق .

و اشار الجابري في الختام الى أنها خطوات أولية لمسير طويل يجب أن يطوى ، وأن العراق هو أرض المجاهدين و أحرار العالم و يعد الشعب الايراني علي رأس هؤلاء الأحرار في العالم .

و الجدير بالذكر أن مذكرة التفاهم قد تضمنت فقراتها تقريبا جميع مجالات النشاطات الثقافية بين البلدين ، ومن ضمن بنود مذكرة التفاهم ،التبادل الثقافي والمعلوماتي فيما يرتبط بالكتاب والفيلم و البرامج ،وتنظيم لقاءات ثقافية بين مسؤولي البلدين و تكريم النخب الأدبية والثقافية للبلدين و اقامة الاسابيع الثقافية ، والاهتمام بالآثار التاريخية و التراث الثقافي والمتاحف والتبادل الثقافي. كل و كذلك اتفق الطرفان على افتتاح مراكز ثقافية في كلا البلدين.

افتتاح أول أسبوع ثقافي إيراني عراقي

افتتح في مركز خاوران الثقافي أول أسبوع ثقافي عراقي بحضور الدكتور مصطفوي مستشار رئيس الجمهورية والسيد جابر الجابري وكيل وزارة الثقافة العراقي و أكثر من ١٧٠شخصية من المفكرين والكتاب والإعلاميين العراقيين.

وذكر تقرير لدائرة العلاقات العامة والإعلام في رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية ان الدكتور مهدي مصطفوي مستشار رئيس الجمهورية عد افتتاح الأسبوع الثقافي العراقي مناسبة

مضيئة في تاريخ العلاقات الثقافية بين البلدين.

وقال إن الشعبين كانا ينتظران هكذا مناسبة منذ عشرات السنين كي يستطيعوا أن يظهروا ويعبروا عن عمق الروابط والمحبة بينهما فكان هذا المشروع الثقافي الكبير.

وأشار رئيس الرابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية الى المشتركات الدينية قائلا : إن العراق الشقيق والصديق لا تربطنا به علاقة الجيرة فقط ، بل إن المشتركات العميقة التأريخية والدينية والثقافية تجعل البلدان كالجسدين في روح واحد وكان على مرّ التاريخ.

التاريخ تأثر وتأثير وأخذ وعطاء متقابل بين اللغتين العربية و الفارسية حيث ترك هذا الامر آثارًا أدبية كبيرة، وأدى الى ثراء الأدبين العربي و الفارسي .

وتطرق رئيس الرابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية الى التاريخ الحضاري للبلدين وقال: إن البلدين يملكان مخزونًا حضاريًا لامعًا منذ قديم الزمان، ويعتبران مهدًا للعلم والمعرفة ومعقلا لتربية العلماء الافذاذ المشهورين.

أما السيد جابر الجابري فأشار بدوره الى العلاقات بين البلدين في الوقت الحاضر والماضي، مضيفاً أن تداوم النشاطات الثقافية والتعليمية سوف يسرع بنا للوصول الى الهدف المشترك من أجل تحقيق الأخوة والصداقة ، وتطوير العلاقات الدبلوماسية.

من الجدير بالذكر أن معرض الكتاب في الاسبوع الثقافي العراقي قد حوي علي ٥٥٠ عنوانًا و عرض أكثر من ألفين و خمسمائة كتاب تشمل النشاطات الأدبية و الفنية والثقافية والعلمية.

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
يؤكد على ضرورة وحدة السنة والشيعة في لبنان

في اجتماع للجنة التنفذية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي عقد في دولة قطر أكد المجتمعون على ضرورة اتحاد وتضامن المسلمين ورص صفوفهم أمام تحديات الكيان الصهيوني.

ونقلت العلاقات العامة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية أن المشاركين بحثوا في هذا الاجتماع ضرورة تنشيط الاتحاد العالمي لتوسيع علاقاته وارتباطاته مع جميع المراكز والمؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي . وكذلك أكدوا على الاهتمام بالجانب الإعلامي وترجمة منشورات الاتحاد الى اللغات الأخرى وإصدار مجلات تتناسب مع مقتضيات العصر الحاضر ومشاكل الأمة الإسلامية.

وعلى هامش هذا الاجتماع عقدت ندوة حول الأقليات الإسلامية في الهند بمشاركة رؤساء المذاهب والفرق المختلفة

حيث أكدوا على ضرورة توحيد صفوف المسلمين هناك واتخاذ مواقف متحدة أمام مؤامرات أعداء المسلمين في الهند.

يحاول الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ومن خلال الاجتهادات الحرة والمستقلة لعلماء مؤهلين لهذا الأمر أن يثبت أن الإسلام والشريعة الإسلامية مؤهل للتطبيق في عصرنا الحاضر وبإمكانه ان يجيب على جميع احتياجات الفرد والعائلة والمجتمع المستجدة.

وشارك فضيلة الشيخ التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية قد شارك في هذا الاجتماع بعنوان نائب رئيس وعضو هيئة أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين .

ثقافات متنوعة في حضارة جامعة

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة أعلنت في إطار «برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات» عن انعقاد حلقتها الرابعة من سلسلة التثقيف الحضاري في القاهرة خلال الفترة من ٢٤ – ٢٨ أغسطس ٢٠٠٨. وجاء في هذا الإعلان:

على الرغم من أن عصرنا أضحى يدعى عصر المعلومات والاتصالات وعصر المعرفة، فإن حقائق الواقع لا تزال تؤكد الحاجة الشديدة والماسة للمعرفة والتعرف والتعارف المتعلق بأساسيات الحياة المعاصرة وثوابتها ومتغيراتها. فلقد أثبتت

الحلقات الثلاث السالفة من دورة «التثقيف الحضاري» التي ينظمها مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافة (برنامج حوار الحضارات سابقاً) منذ عام ١٠٠٥م، أن طلابنا وشبابنا لديهم الكثير من الأسئلة والمطالب الخاصة بالجانب الثقافي العام والمعرفي فضلا عن الجوانب المنهجية والعلمية المتخصصة. كما أن لديهم استعدادات عالية للتفاعل والتجاوب مع متطلبات التثقيف والتعرف على قضايا الحضارات المعاصرة وخصائصها، وأنماط علاقاتها، وأصناف العمليات الفكرية والسياسية والإستراتيجية والأيديولوجية الجارية في المجتمع الحضاري العالمي، وداخل الحضارات الرئيسية.

لقد تتابعت الحلقات الثلاث الماضية في محاولة للإجابة – بشكل تراكمي – عن الأسئلة الرئيسية التي تفرضها الساحة الحضارية الراهنة من جهة، وتطلعات الطلاب والشباب المثقف من جهة أخرى، فكانت المسيرة ماضية في طريق:

١ –في طريق بناء الذات الحوارية والوعي الحضاري.

٢– في المنظور الحضاري ومنهجية النظر إلى العالم من حولنا

٣– في بنية الجماعة الوطنية من منظور التنوع والتعدد

وفي طيات ذلك برزت تفريعات وتفصيلات وعطاءات متبادلة بين الأساتذة والخبراء المحاضرين وبين الشباب من طلابنا في جامعة القاهرة وغيرها.. الأمر الذي أوضح أهمية مواصلة البناء والتوعية والترقية في هذا الاتجاه، وضرورة مواكبة القضايا

الحالية والرئيسة التي تشغل العقل العربي والمسلم إبّان كل حلقة من حلقات هذه السلسلة.

انطلقت السلسلة من مقام التأسيس والتعريف بالمكونات الأساسية لذاتنا الحضارية: ذخرها التراثي ومداخله، وتحدياتها الراهنة في الداخل والخارج، ونموذجها المعرفي، ورؤيتها للعالم، ومضت إلى التفاعل حول عناصر الحضارة العامة من المفاهيم، والقيم، والمقاصد، والسنن، والعمران، والتاريخ والفنون والأدب.. لكي تتبدى أمام الأجيال الصاعدة أصول فقه الحضارات المعاصرة وضرورات مواكبة التغيرات التي تستجد عليها برؤى منهجية عميقة وموضوعية وفاعلة، تستفيد من التجارب التاريخية، والخبرات الحوارية الراهنة، وتنفتح على تجليات الحضارات في سائر المجالات السياسية والاجتماعية والمعلوماتية والفنية.

استفدنا من ثمار هذه الحلقات قواعد مهمة وأصولاً أساسية؛ لعل من أهمها قاعدة أن «الاختلاف الحضاريّ سنة ماضية»، وأن ثمة فارقًا بين اختلاف مآله الائتلاف، واختلاف ينزع إلى الصراع والصدام، وأن المنشود وهو تزكية اختلاف التنوع، ورفع اختلافات التضاد والتعارض، وأن على شبابنا أن يتعلم جيدًا ويتدرب على التعامل مع الاختلاف والتعدد والتنوع سواء بين الحضارات، أو داخل الحضارة العربية الإسلامية نفسها، بل داخل الوطن الواحد على نحو ما برز في وجوه مصر الثقافية والعمرانية وتماسك بنية جماعتها الوطنية.

بناء على كل هذا، وفي ظل الحديث الرائج عن تعدد الإسلامات، ومحاولات طرح وجوه متعددة للحضارة العربية والإسلامية باعتبارها وجوه تضاد وتناف، ومع تسويق وتداول عناوين مثل الإسلام الآسيوي، والإسلام التركي، والفارسي، والعربي، والأمريكي والأوروبي وخلافه.. وصعود رؤية تمزيقية تفريقية تهدف إلى أن تضرب ذاتنا الحضارية بعضها ببعض، وفي ضوء تساؤلات الشباب عن حقائق التنوع الداخلي ضمن حضارتنا، تأتي الحلقة الرابعة لتلقي الضوء على هذه المساحة في «ثقافات متعددة ضمن حضارة واحدة».

تهدف هذه الحلقة إلى استعراض عدد من النماذج أو الحالات الثقافية المختلفة (اختلاف تنوع) ضمن الإطار العام للحضارة الإسلامية، تستعرضها في تاريخها المعاصر ووقتها الراهن مع إطلالة على ذاكرتها التاريخية وما تنبئ عنه من ثوابت ومن متغيرات، ومن أصول ومن فروع.

لقد قام مركز الدراسات الحضارية بعمل متراكم ومتنوع في هذا الاتجاه، برعايته فعاليات حوارات بينية، وتفعيل علاقات مع جهات علمية وبحثية وحوارية في بقاع مختلفة من العالم العربي والإسلامي، وإشرافه على نموذج المحاكاة الطلابي الخاص بمنظمة المؤتمر الإسلامي تثقيفاً وتدريباً للطلاب على المشاركة والعيش في قضايا الأمة والعالم وخصائص العصر، ومن ثم فإن هذه الحلقة تأتي استكمالاً لجهد متواصل في بناء الجسور بين

ثقافاتنا المتنوعة داخل حضارتنا الجامعة.

تتناول الدورة خمس حالات أو نماذج ثقافية داخل الحضارة الإسلامية، من وجهة نظر معاصرة ومعايشة لكل نموذج؛ وهذه النماذج تتمثل في:

١ -الخبرة التركية.

٢-الخبرة الإيرانية.

٣-الخبرة الماليزية.

٤-الخبرة الاندونيسية.

٥-الخبرة الباكستانية.

حيث يتناول المشاركون استعراض طبيعة كل نموذج ثقافي ومحدداته وخصائصه، ونبذة عن ذاكرته والمبادئ الأصيلة فيه، والمستجدات التي يمر بها النموذج، والثقافات الفرعية المندرجة في إطار كل نموذج أو التي ربما يندرج النموذج الثقافي المسلم نفسه في إطارها.. وفي هذا يتم التركيز على الجوانب الحضارية والثقافية الشاملة بالأساس.

يتحدث عن كل خبرة أستاذان: أحدهما يمثل النموذج الثقافي تمثيلاً فعليًّا، والآخر خبير في دراسته، بحيث تتكامل عناصر استعراض كل نموذج من داخله ومن خارجه.. هذا بالإضافة إلى الجانب التفاعلي من الطلاب المشاركين والذي لا شك أنه مناط إثراء هذه الفعالية وإثمارها.